الفصل الخامس

الكنيسة القبطية والغرب

obeikandl.com

obeikandl.com

الكنيسة القبطية والغرب

فى كتابى « الغرب والإسلام » قدمت جانبا من الحوارات التى شاركت فيها مع فضيلة الإمام الأكبر شيخ الجامع الأزهر فى رحلاته إلى بعض دول أوربا وآسيا عن تخوف الغرب من الإسلام والمسلمين ، وقلت : إننى لم أكن أتصور أن صورة الإسلام والمسلمين قد شوّهت إلى هذا الحد .. ولم أكن أتصور أن كبار المفكرين ورجال السياسة فى أوربا يأخذون مأخذ الجد النظرية التى تقول : إن الإسلام هو العدو القادم للحضارة الغربية .. وإنه دين يحمل فى داخله عوامل التخلف .. والعنف .. والجهل .

وعندما حضرت اللقاءات التى تحدث فيها فضيلة الإمام الأكبر الدكتور محمد سيد طنطاوى وهو يشارك فى حوارات طويلة ومتشعبة مع أكبرالعقول الألمانية ..كنت أشعر أن كثيرًا مما يقوله المفكرون الألمان ليس إلا نوعا من الوهم .. أو الخيال .. أو هو – فى أحسن الأحوال – جهل شديد بالإسلام .. ولا شك أن حكمة الإمام الأكبر .. وصبره .. وبمنطقه الهادئ الذى يخاطب العقول .. استطاع أن يقدم صورة حقيقية عن الإسلام ومبادئه وشريعته فى سماحتها .. وإنسانيتها .. واتفاقها مع حقائق العلم والعقل .. ومسايرتها لتطور الحضارة الإنسانية فى كل عصورها .. ولكن الإمام الأكبر لم يزر إلاّ عددا محدودا من بلاد الغرب .. ولم تصل كلمته إلى بقية دول القارة .. وما زالت الأفكار السامة المسمومة منتشرة وتلقى من يروِّج لها كل يوم إلى أن يأتى يوم وتصبح حقيقة من حقائق الحياة المعاصرة لا تقبل الجدل ولا النقاش ..

والانطباع الشخصى الذى خرجت به من هذه اللقاءات أن النظرية الجديدة التى تنتشر فى الغرب هى نظرية غاية فى الخطورة .. وأنها مقدمة لما هو أشد خطرا مما سيجئ به المستقبل ..

والحكاية بدأت بمقال نشر فى أمريكا ..

مجرد مقال كتبه أستاذ مجهول اسمه فرانسيس فوكوياما ، كان يعمل نائبا لمدير مجموعة السياسة بوزارة الخارجية الأمريكية ، أى أنه أحد المسئولين عن التخطيط السياسى للولايات المتحدة .. وإن كان مستواه أقل كثيرا من أن يكون قادرا على إدارة دفة السياسة الأمريكية إلا أنه – بالتأكيد – على علم ببعض أسرار وخفايا ونوايا السياسة الأمريكية .. وترك منصبه فى وزارة الخارجية ليصبح مستشارًا لمؤسسة راند كوربوريشن فى واشنطن ..

المقال الغريب ظهر فى عام ١٩٨٩ بعنوان « هل هى نهاية التاريخ » نشره فى مجلة « ناشونال انترست » .. قال فيه : إن الحضارة الإنسانية ظلّ تاريخها كله فى صراع مستمر .. وكل حلقة من حلقات الصراع تنتهى بهزيمة نظام وانتصار نظام .. لحقت الهزيمة بالنظام الملكى الوراثى .. وبالفاشية .. وأخيرا بالشيوعية .. وانتصر أخيرًا النظام الليبرالى الغربى .. وكانت نظرية ماركس ولينين ترى أن الصراع الأخير بين الرأسمالية والشيوعية سينتهى بانتصار الشيوعية فتسود العالم كله ، وتختفى الرأسمالية من الوجود ، فينتهى الصراع ، وتصل البشرية إلى مرحلة أسماها ماركس ولينين « نهاية التاريخ » أى نهاية الصراع بين النظم السياسية والاقتصادية وسيطرة نظام واحد على العالم كله هو الشيوعية .. ثم ثبت خطأ ماركس ولينين لأن العكس هو الذى حدث .. انهزمت الشيوعية وانتصرت الرأسمالية وحسم

الصراع بينهما .. وقد تكون هذه هى نقطة النهاية فى التطور الايديولوجى للإنسانية .. والصورة النهائية لنظام الحكم البشرى وبالتالى فهى تمثل « نهاية التاريخ » .. فالنظم السابقة كانت فيها عيوب خطيرة أدت إلى سقوطها ، أما الليبرالية الغربية فهى خالية من العيوب والتناقضات . وبعد ذلك قال : إن هناك عدوا قادما للحضارة الغربية هو الإسلام .. لأنه نظام قائم على عقيدة .. فهو أيديولوجية ستصبح هى النقيض للأيديولوجية الغربية .. وبالتالى لابد أن ينتصر أحدهما وينهزم الآخر ؛ لأن العالم لن يستمر فى حالة صراع بين العقيدتين : الغربية والإسلام .. ثم أضاف – وربما على سبيل التمويه – إن حضارة الغرب سيكون عليها كذلك أن تخوض صراعا مع الحضارة الآسيوية عموما ومع اليابان على وجه الخصوص .. !

إلى هنا والمسألة أصبحت تخصنا ..

أصبحنا طرفا فى الموضوع دون أن ندرى ..

والغريب أن هذه النظرية الضعيفة فى بنائها الفكرى وفى مقدماتها ونتائجها وجدت من ينشرها .. ومن يشرحها .. ومن يروّج لها .. ومن ينفخ فيها .. وصدّق كثير من المفكرين فى الغرب هذه النظرية واستقر فى أذهانهم أن « الإسلام » هو العدو القادم الذى يهدد حضارة الغرب وثروته وعلومه وتقدمه .. !

□□□

وبعد سنوات ظهر مفكر آخر .. فى أمريكا أيضا .. ونشر أيضا مقالا صغيرا فى مجلة « فورن افيرز » بعنوان : « صراع الحضارات » .. الرجل اسمه صمويل هنتنجتون .. وملخص نظريته أن تاريخ الحياة على الكرة الأرضية

هو تاريخ الصراع بين حضارات .. وكان الصراع الأخير بين الحضارة الغربية التى تمثلها أمريكا وأوربا بنظامها الليبرالى .. وبين الحضارة الشيوعية التى كانت تقودها روسيا ودول « الاتحاد السوفيتى » السابق وأوربا الشرقية .. وانتهى هذا الصراع بهزيمة الشيوعية وانتصار الحضارة الغربية .. ولم يعد للحضارة الغربية إلاّ عدو واحد فى العالم هو : « الإسلام » . فهو دين وحضارة وثقافة .. وهناك حوالى ألف مليون مسلم يعتنقون هذا الدين .. لهم أفكار ومعتقدات وميراث ثقافى وحضارى مختلف تماما عن الغرب .. وهم يريدون أن يفرضوا عقيدتهم بالقوة .. بالعنف .. بالإرهاب .. بتدمير الحضارة الغربية .. المسلمون هم التهديد الأخير .. وهم الخطر الماثل أمام الغرب كله .. وإما أن يقضى الإسلام على الغرب .. وإما أن يقضى الغرب على الإسلام .

نظرية غريبة جدا ..

لم تخطر على بال أحد فى العالم الإسلامى ..

ولكن هنتنجتون .. وقبله فوكوياما .. كان هدفهما استغلال ظاهرة العنف والإرهاب فى إيران مثلا أو فى أفغانستان أو الجزائر ليقول : إن هذا هو الإسلام .. والمسلمون متشددون .. عصبيون .. لديهم هوس دينى .. عقولهم مغلقة .. يريدون العودة إلى عصر السلف الصالح بأن يعيشوا فى الخيام ويأكلوا من لبن الأغنام ويهدموا كل إنجازات العلم والحضارة فى الغرب .. ووسيلتهم التفجير .. والقتل غدرًا .. وتكفير الناس .. وإهدار دم من يخالفهم فى الرأى أو العقيدة ..

ثم حدث شىء غريب ..

المقال الصغير الذى نشر فى مجلة أمريكية متخصصة فى السياسة الخارجية أصبح مشهورًا ومنتشرًا فى كل المؤسسات العلمية فى كل دول الغرب ..

وأصبحت أفكار هنتنجتون تتردد على أنها حقيقة ثابتة غير قابلة للجدل ..

الإسلام هو العدو الجديد للغرب ..

والصراع بين الإسلام والغرب صراع حتمى لا مهرب ولا مفر منه ..

ولابد أن يستعد الغرب لهذا الصراع ..

ولابد أن يعدّ الغرب نفسه لكى ينتصر على الإسلام أو ينهزم الغرب إلى الأبد ، ويعود إلى القرون الوسطى المظلمة .. !

والقضية إذا ظهرت أمامنا وكأنها هزل .. أو من قبيل التخاريف .. فإن المفكرين فى الغرب يأخذونها مأخذ الجد .. وهناك أساتذة .. ومعاهد .. ومؤسسات .. وجهات ظاهرة وخفية تخطط على أساسها .. !

الفكرة ليست وليدة اليوم .. ولكنها قديمة ..

الفكرة أن الغرب له مصالح فى العالم الإسلامى .. العالم الإسلامى هو أرض البترول الذى تعتمد عليه الحضارة الغربية .. والسوق الواسعة للمنتجات الغربية التى تنقل ثروات العالم الإسلامى إلى الغرب ..والتاريخ القديم والحديث هو حلقات من تاريخ الصراع بين الغرب والعالم الإسلامى ..ليس صراع عقائد .. وليس صراع ديانات .. وليس صراع حضارات ولا ثقافات .. ولكنه صراع مصالح .. مصالح الغرب مرتبطة ببقاء العالم الإسلامى منقسما وجاهلا ومتخلفا ومنشغلا بصراعاته الداخلية ..صراعات

بين بلاد إسلامية وبلاد إسلامية أخرى تنهزم فيها دولة إسلامية وتنتصر فيها دولة إسلامية أخرى لتنهزم فى صراع آخر .. ! صراعات داخل كل بلد مسلم .. مجموعة تحكم على مجموعة أخرى بأنها كافرة وتتربص بها لتقتلها .. والمجموعة الأخرى تحشد قوتها وتبدد ثروتها فى أسلحة للدفاع عن نفسها .. صراعات بين مسلمين وأقباط .. وبين المسلمين والهندوس .. وبين السنة والشيعة .. ليس مهمًا موضوع الصراع .. المهم أن يظل العالم الإسلامى .. وتظل الشعوب الإسلامية مشغولة وخائفة ومتربصة .. وبذلك تبقى سوقا مفتوحة للغرب ..

تاريخ طويل .. منذ الحروب الصليبية حتى اليوم ..

وفى كل مرحلة تظهر أساليب جديدة وشعارات جديدة لتحقيق نفس الهدف .. انتهت الشعارات القديمة مثل نشر المسيحية ، وحرية التجارة ، والقضاء على نظام الرق والعبيد ، وحماية الأقليات الدينية والقومية ، وانتهى عصر تجمع جيوش فرنسا وإيطاليا وإنجلترا وألمانيا لغزو العالم الإسلامى تحت شعار « تحرير أورشليم » و « قبر المسيح » من السيادة الإسلامية منذ أكثر من ٩٠٠ سنة .. وانتهى عصر الاحتلال العسكرى بجيوش بريطانيا وفرنسا ..

فكرة العداء المحتوم بين الإسلام والغرب – كما قلنا – قديمة .. بُعثت الآن من جديد وأصبح يتردد صداها فى مواقف القادة وأصحاب القرار فى الغرب ..

مثلا .. ريتشارد نيكسون .. أهم الرؤساء الأمريكيين الذين تميزوا برؤية سياسية واضحة وعقلية مبدعة .. له كتاب مشهور عنوانه « الفرصة السانحة »

فيه فصل كامل عن « العالم الإسلامى » يقول فيه : إن كثيرًا من الأمريكيين يتصورون أن المسلمين شعوب غير متحضرة .. وأن المسلمين دمويون ، وغير منطقيين ، ويحذر بعض المراقبين من أن الإسلام سوف يصبح قوة جيوبوليتيكية متطرفة ، وأنه مع التزايد السكانى ، والإمكانات المادية الكبيرة ، سوف يشكل المسلمون خطرًا كبيرًا سوف يضطر الغرب إلى مواجهة هذا الخطر العدوانى للعالم الإسلامى ، ويزيد هذا الرأى بأن الإسلام والغرب متضادان ، وأن نظرة الإسلام للعالم تقسمه إلى قسمين : دار الإسلام ودار الحرب حيث يجب أن تتغلب الأولى على الثانية ، وأن المسلمين يوحِّدون صفوفهم للقيام بثورة ضد الغرب ، وعلى الغرب أن يواجه هذا الخطر الداهم .. !

وبعد أن يسرد نيكسون هذه المخاوف الغربية وأسبابها يطمئن الغرب إلى أن هذا « الكابوس » لن يتحقق ، لأن المسلمين كثرة ولكنهم مختلفون ، ولن يصبحوا كتلة واحدة .. فالمسلمون سدس سكان العالم .. يعيشون فى ٣٧ دولة وينتمون إلى ١٩٠ جنسية .. ويتكلمون مئات اللغات واللهجات .. وهم ينقسمون إلى ثلاث طوائف : السنة .. والشيعة .. والصوفية .. ويتفرع من هذه الطوائف جماعات وعشرات الطوائف ..

ولكى يطمئن الغرب من هذا « الخطر الداهم » يقول نيكسون أيضا : إن هناك صفتين أساسيتين يشترك فيهما جميع المسلمين فى العالم الإسلامى : إيمانهم بالدين الإسلامى .. وعدم الاستقرار السياسى .. والإسلام ليس مجرد دين ولكنه أساس لحضارة كبرى .. والتنافس بين دول العالم الإسلامى جعله بؤرة للصراعات .. فعلى سبيل المثال – كما يقول نيكسون – فإن المغرب ضد الجزائر .. وليبيا ضد الجزائر .. وليبيا ضد تشاد .. والعالم

العربى ضد إسرائيل .. وسوريا ضد الأردن .. وسوريا ضد لبنان .. والعراق ضد سوريا .. والعراق ضد الكويت والسعودية .. والعراق ضد إيران .. وإيران ضد دول الخليج .. وباكستان ضد أفغانستان .. والهند ضد باكستان وبنجلاديش .. وأندونيسيا ضد ماليزيا وغينيا .. وربما يحدث فى كثير من الدول الإسلامية مستقبلا ما حدث فى لبنان .. ! ومع تزايد السكان سوف يهبط مستوى المعيشة ولا تقدر سلطة الدولة على السيطرة على الأمن والاستقرار . وتمثل الموارد الرئيسية – مثل المياه – نقصًا شديدا يهدد بمشاكل وربما حروب .. وأغلب خطوط الحدود بين الدول الإسلامية رسمتها قوى الاستعمار الأوربية فى الماضى ، وهى تمثل نقطة رئيسية أخرى للنزاع بين الدول الإسلامية .. أو بين الدولة والأقليات التى تعيش فيها ..كل هذه الصراعات والمشاكل ظهرت فى المنطقة التى يتجمع بها أكبر كم من السلاح فى دول متخلفة .. لقد أنفقت الدول الإسلامية ٨٪ من دخلها القومى على التسلح فى حين كان إنفاق الدول الغربية أقل من ٥٪ ..

هذا ما يقوله نيكسون .. ويقول أيضا : إن الأمريكيين أصبحوا ينظرون إلى كل المسلمين كأعداء .. وإن العالم الإسلامى عالم ثورى بطبيعته ، فهو يضم ٦٠٪ من سكان عمرهم أقل من ٢٥ عاما .. وهم فقراء .. فدخلهم القومى – بما فيهم دول البترول يبلغ متوسط دخل الفرد فيه ١٦٠٠ دولار فى السنة بينما متوسط دخل الفرد فى أمريكا ٢١ الف دولار فى السنة .. وزعماء الأصوليين ليس لديهم إلاّ الرفض ، وليس لديهم تصور للمستقبل ..

ويقول ما هو أكثر .. يقول : إن العالم الإسلامى يشكل أكبر التحديات لسياسة الولايات المتحدة الخارجية فى القرن الحادى والعشرين ، ومع انتهاء الحرب الباردة بدأت النزاعات التقليدية ، التى كانت نائمة طوال خمسة

وأربعين عاما ، تستيقظ .. ولما كانت منطقة الخليج فيها ٦٥٪ من احتياطى البترول العالمى ، وسوف تظل قابلة للاستغلال ربع قرن قادم فلا مناص من أن نظل مرتبطين بالبترول وبهذه المنطقة ..

ويقول نيكسون : إن أكثر ما يهمنا فى الشرق الأوسط هو البترول وإسرائيل ..

هل ترون كيف تفكر أمريكا وكيف يفكر الغرب .. ؟

مصالح ..والغطاء الظاهر هو المبادئ ..

المسألة إذن ليست الدين الإسلامى ..

□□□

حتى نيكسون يتحدث أيضا فى كتاب آخر عنوانه « ما بعد السلام » ترجمة المشير محمد عبد الحليم أبو غزالة عن نظرية هنتنجتون .. ويقول : إنه إذا أساء الغرب معالجة علاقاته مع العالم الإسلامى فإن الصدام بين الحضارات قد يضع الغرب فى مواجهة ضد الإسلام .. ويجب على الولايات المتحدة ألا تسمح لصدام الحضارات بأن يتحول إلى الخاصية السائدة لعصر ما بعد الحرب الباردة .. وكما لاحظ هنتنجتون أن الخطر الحقيقى ليس فى حتمية هذا الصدام ، ولكن فى عدم القيام بأى عمل من جانبنا وهو الذى سيحقق هذه النبوءة ، إذا ما استمر سلوك أمريكا إهمال الصدامات التى يكون المسلمون فيها هم الضحية .. فإننا ندعو بذلك إلى صدام بين العالم الغربى والعالم الإسلامى .. وصدام واحد من هذا النوع يمثل فشلاً للسياسة الخارجية الأمريكية هو المذبحة فى يوغسلافيا سابقًا .. إن الولايات المتحدة والأمم المتحدة والمجتمع الأوربى ترددت .. وراوغت .. ولم تفعل شيئا

لمواجهة المذبحة التى تعرض لها المسلمون من الصرب .. ولو كان غالبية سكان سراييفو من اليهود أو المسيحيين لما سمح العالم بحصار المدينة ..

ويقول نيكسون ليطمئن الغرب : إن السيناريو المزعج الذى يراه البعض أن الإسلام المتطرف فى طريقه للصدام مع الغرب سيتحقق فقط إذا وصلت القوى المتطرفة إلى السلطة فى العالم الإسلامى ، ولكن معظم مسلمى العالم لا يرقصون على طبول المتطرفين ، والنظم المتطرفة مازالت أقلية وتمثل ١٠٪ فقط من إجمالى سكان العالم الإسلامى .

ويقول أيضا : فى صدام الحضارات توجد حقيقة واضحة .. هى أننا (أى الغرب) الأمة الأقوى والأغنى فى التاريخ ، وهذا ليس كافيًا ، والعامل الذى سيكون حاسمًا هو قوة المبادئ العظيمة ، الدينية والعلمانية ، التى تجعل أمتنا أمة عظيمة ، وعلى الرغم من أن الغرب والمسلمين بينهم خلافات حقيقية فى الثقافة والتطور التاريخى فمن الممكن أن يتعلم كل جانب من الآخر ، وأن ندرس أسباب نجاحنا وفشلنا السابقة .

ثم يقول نيكسون : لقد كان القرن العشرون فترة صدام بين الغرب والعالم الإسلامى ، وإذا ما عملنا معا ، يمكننا أن نجعل القرن الحادى والعشرين ليس فقط قرن سلام فى الشرق الأوسط والخليج ، وإنما أيضا قرنا فيه ما وراء السلام : حضارتان عظيمتان تثريان بعضهما البعض وتثريان العالم .. ليس بالأسلحة والثروات ولكن بالقيم والمثل العليا ..

مثل هذه الأفكار مهمة جدا ..

لأن نيكسون رجل دولة .. عاش فى البيت الأبيض ..صانع سياسات .. وصاحب قرار .. ويمسك بيده مقاليد العالم ..

ولأنه – فوق ذلك – مثقف .. يعرف كثيرا عن النظريات والفلسفات .. فهو ليس مجرد حاكم سياسى .. ولكنه أحد حكماء الغرب ..

فإذا كان يتحدث عن صراع الحضارات وعن هنتنجتون وعن حتمية الصراع بين الغرب والإسلام وأسبابه وكيفية تفاديه .. فالمسألة إذن فى منتهى الجدية ..

وفكرتى الشخصية أن الغرب ينسج نظرية جديدة لكى يحدد العدو الجديد .. بعد انتهاء الاتحاد السوفيتى كعدو .. لابد من وجود عدو لكى يحتفظ الغرب بتماسكه .. وبإرادة القتال والنصر .. ليس أمام الغرب الا الإسلام .. ولحسن حظ الغرب أن الإسلام فى بلاد فيها البترول وإسرائيل .. ولكى يمهد لاستمرار بقائه لا يستطيع أن يقول الحقيقة .. ولكنه يؤلف نظرية تعطيه الفرصة للتدخل فى شئون الدول الإسلامية ، وفى اللعب المكشوف والخفى لإشعال نار الخلافات بين الدول الإسلامية وإشعال الخلافات أيضا داخل كل بلد إسلامى ، والغطاء الفكرى الجاهز الآن لكل ذلك هو نظرية صراع الحضارات وأن الإسلام هو العدو القادم ..

□□□

ولأن علاقتى بعداسة البابا شنودة ليست علاقة الصحفى بمصدره ، ولكنها علاقة عميقة وممتدة منذ مايقرب من عشرين عامًا ، فلا أستطيع أن أكون معه صحفيًا ، أعد له أسئلة مسبقة ، أو أجرى حديثا للنشر فهو بالنسبة لى صديق .. وأستاذ .. وأعترف أنى تعلمت منه الكثير .. لذلك عرضت على قداسته هذه الأفكار التى ذكرتها وطلبت رأيه فيها .

قال :

هذا الكلام غريب علىَّ .. وأنا مندهش مما أقرؤه عن نظريات فى الغرب

تروِّج لهذه الفكرة .. ولا أعتقد بصحة هذا الكلام .. وإنما أرى أن المشكلة الأساسية التى ستقابل العالم فى المستقبل هى سوء استخدام التكنولوجيا وردود فعلها .. وأول مظهر رأيناه لذلك هو استخدامات الهندسة الوراثية ومحاولة تدخلها فى الخلق ، ثم ما يتوقعه البعض من نمو الكمبيوتر وشبكات الانترنيت وشيوع المعرفة فيما يفيد وفيما يضر ، وكشف سرية كثير من الأمور .. وفضح الخصوصيات .. وتأثير الانترنيت على الأخلاق بما ينقله عن الأمور الجنسية بأساليب لا أريد التحدث عنها ..

وأرى أن نمو المعرفة والتكنولوجيا سيؤدى إلى اتساع الفجوة بين الشعوب المتقدمة والشعوب المتخلفة .. وبين الآباء والأبناء ..

والتكنولوجيا ستؤدى إلى زيادة البطالة ، التكنولوجيا غيرت أساليب العمل ، وأساليب التفكير ، وأساليب تحصيل المعرفة .. فقد رأيت فى الخارج أنه يمكن جمع مواد ١٣٠ كتابا كاملة على « دسك » واحد ، يوضع فى الكمبيوتر فتستطيع استدعاء أى معلومات منها فى لحظات .. مكتبة متنقلة .. تعيد ترتيب وتنظيم المعلومات كما تريد دون مجهود منك .. بل يمكنك إصدار أمر للكمبيوتر أن يستخرج من كل هذه الكتب ما يتعلق بموضوع معين فيفعل ذلك .. وهذا يعنى أن المجهود الطويل الذى كان يبذله الباحثون فى سنوات سيتم فى لحظات ..

الخطر الجديد على الغرب والعالم هو طغيان الآلة .. قيام الآلة مقام العقل البشرى .. الذكاء الاصطناعى .. الروبوت .. الإنسان سيصبح مهددا فى كل المجالات .. حتى فى الطب ..

وبقيام الآلة مقام الإنسان والعقل البشرى سيؤثر حتما فى العلاقات الإنسانية .. وفى تفكير البشر .. وفى العلاقات الدولية ..

هذا هو الخطر الذى يجب أن يفكر فيه الغرب .. أما القول بأن الإسلام هو العدو للغرب فهذا كلام فارغ ..

هذا كلام فارغ لأن الغرب لا يعنيه الدين كثيرا بقدر ما تعنيه المصالح .. الإنسان فى الغرب لا يخضع فى سلوكه لأوامر الدين .. ولكنه يخضع لاعتبارات المصلحة .. المادية .. والفردية أصبحت طاغية .. والدين تراجع كثيرا فى الغرب .. والمصالح الاقتصادية هى الدافع للسلوك .. أما مبادئ وعقائد الدين فقد تراجعت .. فكيف يقولون : إن هناك صراعا سينشأ بين ديانات وعقائد .. إذا كانت الديانات والعقائد لاتهمهم ؟ ..

□□□

قلت : هم يقولون : إن الإسلام عقيدة وأيديولوجية يمكن أن تكون فلسفة الحكم والحياة فى الدول الإسلامية فتتعارض مع قيم وفلسفات دول الغرب المسيحية ويحدث تصادم بين الثقافات والحضارات والأديان ؟ ..

قال :

هذا كلام غير قائم على أساس واقعى .. من جهة السياسة نرى أن الدول الكبرى مهتمة بما يسمونه « توازن القوى » سواء كانت هذه القوى إسلامية أو مسيحية أو قوى من ديانات أخرى مثل الكنفوشية والبوذية .. فى اليابان والصين .. ودورهما كبير فى المستقبل ويهدد الغرب .. وصراع القوى والمصالح الاقتصادية بين الغرب واليابان والصين يهم الغرب أكثر من موقف الدول الإسلامية .. الصناعات الآسيوية تؤثر على اقتصاد أمريكا وأوربا ..

لذلك أنا أقول : إن الكلام عن صراع بين الأديان والحضارات والعقائد

هو فى حقيقته كلام عن صراع اقتصادى .. الغرب يسعى إلى السيطرة الاقتصادية .. هذه هى حقيقة المسألة ! ..

قلت :

هل ترى يا قداسة البابا أن كل مشكلة الغرب مشكلة اقتصادية ؟ ..

قال :

لا .. هناك مشكلة أخرى تنتظر العالم الغربى ، هى الانحلال الخلقى .. ستكون نتائج هذا الانحلال وخيمة على الشعوب والأسر والعلاقات الاجتماعية .. لذلك لا أرى أبدا أن مشكلة الغرب ستكون هى الإسلام .. مشكلة الغرب ستكون ناتجة من طبيعة تطوره .. فهو يتقدم ماديا ويتخلف أخلاقيا .. وهذه مشكلة عظمى ..

وقد قلت فى مؤتمر الغرب والإسلام الذى عقد أخيرا فى القاهرة : إن مصلحة البشرية أن يوجد تعايش سلمى بين الأديان بدل الصراع .. لأن التعايش السلمى يحقق التفاهم بين أتباع الأديان .. ودعوت إلى أن تتسع دائرة الحوار بين الأديان والا تقتصر على أفراد معدودين يكون الحوار بينهم ..

وقلت فى هذا المؤتمر : إن بين الإسلام والمسيحية مساحة واسعة للتفاهم والتعاون ، ويستطيع المسلمون والمسيحيون فى العالم أن يتعاونوا لنشر الإيمان بالإله الواحد والوقوف ضد الإلحاد والوجودية وكل من لا يؤمن بوجود الله ، كما يمكن التعاون أيضا فى نشر الفضيلة والبر والقيم والمبادئ السليمة ، والتعريف بالقضايا الإنسانية خاصة قضية الفلسطينيين ..

وقلت أيضا : إن التواصل بين العالمين : الإسلامى والغربى يمكن أن

يحقق خيرا ، حيث يمكننا أن نأخذ العلم والتكنولوجيا من الغرب وكل ما يحقق لنا الخير ، وما يتفق مع روح الأديان ، وأن ننكر ما يتعارض معها مثل استخدام الهندسة الوراثية فى عمليات الخلق ..

وقلت : إن الحوار الذى أطالب به يجب أن يدور بالمصارحة ، وأن يرد الإسلام على كل ما فى أذهان الغرب ليعرف الغربيون أنه لا إكراه فى الدين ، وأن التطرف خارج عن الدين ، وتنشره جماعة لا يوافق الإسلام عليها ، وأن العنف لا يتفق مع المحبة ، ولا السلام ، ولا التعاون ، وهى من مبادئ الإسلام ..

وسألت البابا شنودة : ما رأيك فى رواية سلمان رشدى « آيات شيطانية وما فيها من اتهامات بذيئة تمس مشاعر المسلمين .. وحكيت له كيف واجه شيخ الأزهر الدكتور محمد سيد طنطاوى فى ألمانيا وبريطانيا أسئلة تريد إحراجه ملخصها : هل الإسلام ضد حرية الرأى وحرية العقيدة .. وهل الإسلام يأمر أتباعه بأن يقتلوا كل من له رأى مخالف لرأيهم أو دين مخالف لدينهم .. فقال لهم شيخ الأزهر : إن الإسلام يؤيد حرية الرأى ، ويحترم حرية العقيدة ، بل إن الإسلام يأمر المسلمين بأن يحترموا ديانة غيرهم ويحفظوا لهم كرامتهم ويساعدوهم على أداء شعائرهم (والإسلام يلزم المسلمين أيضا بحماية أماكن العبادة التى تخص غير المسلمين) ولكن سلمان رشدى لم يقدم رأيا أو يعرض عقيدة تخالف عقيدة الإسلام .. ولكنه وجه اتهامات محددة إلى الرسول ﷺ وزوجاته .. وملأ روايته بالأكاذيب .. ومن حق المسلمين أن يشعروا أن هذه الرواية ليست نقدًا ولا وجهة نظر ولكنها افتراءات وأكاذيب وقذف وتشهير بالإسلام كعقيدة وبمحمد ﷺ كنبى كريم .

وقال لهم شيخ الأزهر أيضا : إنه لا يقر الفتوى التى صدرت بإهدار دم سلمان رشدى ، ولكنه كمسلم من حقه أن يطلب تشكيل لجنة عليا من أكبر العلماء ولتكن من ثلاثة أحدهم مسلم ، والثانى مسيحى ، والثالث يهودى ، وتسأل هذه اللجنة سلمان رشدى من أين جاء بالأكاذيب والافتراءات التى ذكرها فى روايته .. وهل لديه أدلة تاريخية أو مصادر أو مراجع يستند إليها أو أنه يكيل الاتهامات للدين الإسلامى ورسوله دون دليل .

وقال شيخ الأزهر أيضا : إن المسألة ليست مجرد رواية ، ولكن الضجة الإعلامية التى صاحبت صدور هذه الرواية كانت تدل على وجود جهات وراء الكاتب والكتاب تسعى إلى الترويج للكتاب ، وتعمل على استفزاز مشاعر المسلمين .. ومن الواجب على العقلاء ألا يشعلوا النيران بين أصحاب العقائد ، وأن يتعاهدوا على أن يحترم بعضهم بعضا .. والمبدأ فى الإسلام : « لكم دينكم ولى دين » وإن كان هناك من يريد الجدل فى العقائد فنحن على استعداد على أن يكون الجدل قائمًا على المنطق ومتبعًا للمنهج العلمى وبعيدا عن التأثير الإعلامى ومحاولات الاستفزاز .

واستمع قداسة البابا إلىّ ثم قال :

من جانبى لم أقرأ هذه الرواية .. ولا أرى أنها تستحق القراءة .. وقد تابعت جانبًا مما نشرته الصحف عنها فعرفت أنها قصة رخيصة ، وأن صاحبها مؤلف كان مغمورًا ويبحث عن الشهرة والمال ، وأثبت أنه مغمور ومغامر ، ومع أنه مسلم إلا أنه باع نفسه من أجل بضعة ملايين من الجنيهات الاسترلينية .

ومثل هذه الأعمال يمكن أن تثير زوبعة إعلامية فى الصحف والإذاعات والتلفزيونات ، وتشغل الناس ، ولكن ذلك لا يستمر طويلاً .. لأنها ليست دراسة علمية موثقة ، ولاتستند إلى حقائق أو معلومات أو وقائع تاريخية .

والدليل على ضعف مستوى سلمان رشدى وروايته أنها تسير إلى النسيان وسوف ينتهى الحديث عنها ولايصح إلا الصحيح ..

وأكثر من ذلك ماذا تستفيد الإنسانية من نشر مثل هذه الروايات القائمة على اختلاق وقائع مزورة لمجرد التشهير بشخصيات لها قدرها واحترامها وقداستها .

وهل يمكن أن يكون هذا هو أسلوب كل أصحاب الديانات فى تجريح الديانات الأخرى التى تخالفهم .. هل المقصود أن نشعل الحرب بين أصحاب الديانات .

وقال قداسة البابا :

– أنا أسأل سؤالا بسيطًا .. لماذا جاءت الأديان للبشر .. اعتقد أن أحدًا لن يختلف معى فى أن كل الديانات تقوم على جوهر واحد هو الإيمان بالله .. هذه نقطة .. وكل الأديان تدعو البشر إلى محبة بعضهم بعضا .. وإلى أن يرحم بعضهم بعضًا .. ويساعد بعضهم بعضًا .. بغض النظر عن لونهم أو جنسهم .. أو جنسيتهم .. أو لغاتهم .. أو دياناتهم .. الإنسان هو الإنسان .. والقرآن يقول : « ولقد كرمنا بنى آدم .. » فكل إنسان له كرامة وتكريم عند الله مهما كانت عقيدته الدينية . هذه نقطة ثانية .. أما النقطة الثالثة فهى أن الأديان كلها مهما تكن الخلافات بينها تتفق فى مبادئ وقيم أخلاقية تجدها هى هى فى كل الديانات .. وإذن هناك اختلاف

فى الأديان وهناك وحدة فى المصدر وهو الله .. وفى الهدف وهو تقويم البشر وإسعادهم وهدايتهم إلى طريق الله .. فإذا كان الأمر كذلك فلماذا يناصب بعض أصحاب الأديان العداء من يخالفونهم فى العقيدة ؟ أنا أقول : إن ذلك يتعارض مع إرادة الله .

لذلك أقول : إننى أشعر بالضيق كلما رأيت واحدًا من الناس يسىء إلى عقيدة غيره .. وقد شعرت بالضيق من سلمان رشدى وروايته ومن الدعايات التى ملأت الصحف وشغلت الناس فى كل أنحاء العالم .

ثم قال قداسة البابا :

صدقنى .. لن يبق من سلمان رشدى شىء .. لأن الحديث عن الأديان والرسل يجب ان يكون فى إطار محترم ولائق .. هذا إذا كان من يتحدث محترمًا ويعرف اللياقة .

ثم قال :

لذلك لا أرى أن سلمان رشدى يستحق الغضب الشديد الذى شعر به بعض المسلمين .. وأنا احترم رأى فضيلة شيخ الأزهر ، وقد أصاب بعلمه وخلقه وقوة إيمانه .. واحترم فيه أنه لم يهتز لمثل هذه الفقاعات .. وما أكثر الذين تهجموا على المسيحية والمسيح .. أين هم الآن فى التاريخ ؟

□□□

قلت لقداسة البابا :

خلال السنوات الست والعشرين فى مسئولية بابا الأقباط الأرثوذكس كان واضحًا اهتمامكم الكبير بامتداد عمل الكنيسة ونشاط البابا إلى الخارج ، وتحقق الكثير فى ذلك بانتشار الكنائس التابعة لكم فى أفريقيا وآسيا وأوربا

والولايات المتحدة وكندا وأمريكا اللاتينية .. أعتقد أن الهدف لم يكن مجرد التوسع فى إنشاء كنائس ، ولكن كانت هناك فلسفة وأهداف لنشاطكم فى الخارج .. ما هى .. ؟

قال :

طبعا .. تستطيع أن تلاحظ أن هناك ملامح عامة للعمل الكنسى منذ ١٩٧١ حتى الآن .. وبعض هذه الملامح جديدة لم يسبق أن أعطاها الباباوات السابقون الاهتمام الكبير الذى أعطيته لها .. مثل انفتاح الكنيسة القبطية على العالم بعد أن عاشت قرونا طويلة فى دائرة مغلقة ، ومثل العمل على إقامة حوار مع جميع الطوائف المسيحية ، ودراسة القضايا والتصرفات التى تسىء إلى العلاقات بين الكنائس ، والتوصل إلى حلول لتغيير الأوضاع وتحسين العلاقات ، ومثل وصول الكنيسة إلى مكان القيادة فى كثير من الهيئات والمؤسسات المسيحية الدولية على المستويين الإقليمى والعالمى ، واشتراكها فى عضوية المجالس القومية للكنائس .

وقال البابا :

– لقد بذلت وقتًا طويلاً فى لقاءات وزيارات مع بطاركة ، وقيادات الطوائف المسيحية الأخرى لبناء جسور المحبة وإذابة آثار سنوات من عدم الفهم المشترك ، وركزت على تنظيم برامج عديدة للحوار اللاهوتى فتحنا فيه وبصراحة نقاط الاتفاق والاختلاف بين الكنيسة الأرثوذكسية والطوائف الأخرى سواء الكاثوليكية ، أو البروتستانتية ، أو الأسقفية ، وسادت جلسات الحوار روح المحبة والصراحة وتقديم الحلول العملية . وأعطيت اهتمامًا كبيرًا لتوسيع نشاط الكنيسة فامتد عملها إلى مجالات كثيرة مثل

التنمية ، وأنشطة الشباب والمرأة ، وتقديم الخدمات الاجتماعية ، وشاركنا الطوائف الأخرى فى المناسبات والاحتفالات والأعياد الخاصة بكل منها . فأصبحت تشاركنا احتفالاتنا وأعيادنا ، وحقق ذلك تقاربا كبيرا بيننا .. وعقدنا عشرات المؤتمرات واللقاءات الدينية فى دير الأنبا بشوى بوادى النطرون ، وفى زياراتى للخارج أسعى إلى تدعيم علاقة الكنيسة المصرية بالكنائس الأخرى فى كل الدول .

□□□

قلت : إلى أى مدى وصلت هذه الجسور إلى بابا روما وأقيمت الجسور مع الكنيسة الكاثوليكية بعد مئات السنين من الجفوة .. ؟

قال البابا :

كانت البداية زيارة قمت بها إلى الفاتيكان والتقيت بالبابا بولس السادس .. وكان هذا أول لقاء بين بابا الاسكندرية وبابا روما منذ أكثر من ١٥ قرنا . كانت الزيارة بدعوة رسمية من البابا بولس السادس وتمت فى مايو ١٩٧٣ ، وكان معى فى هذه الزيارة أحد عشر مطرانًا وأسقفًا منهم اثنان من الأثيوبيين ، وتحقق بذلك التقاء الكنيستين الأرثوذكسية والكاثوليكية وإزالة ما بينهما من فجوة أو جفوة ، ووضعنا فى هذه الزيارة التى استمرت سبعة أيام ميثاقًا للصداقة والتعاون ، وكان من نتائج هذه الرحلة تنمية العلاقات بين كنيستى روما والإسكندرية ، وتمت مناقشة كثير من القضايا ، وصدر بيان مشترك اشتمل على شقين أساسيين : الشق الأول هو الشق اللاهوتى وفيه المسلمات الأساسية التى لا خلاف عليها ، والشق الثانى تضمن الاتفاق على تشكيل لجنة مشتركة بين الكنيسة المصرية وكنيسة روما للقيام بدراسة مشتركة فى ميادين متخصصة مثل التقاليد الكنسية ، والطقوس ، واللاهوت ،

والتاريخ ، وغيرها . واشتمل هذا الشق على خطوات للتعاون المشترك وحل الخلافات القائمة بين الكنيستين ، ورفض كل صور « الخطف » من كنيسة إلى أخرى ، ورفض سعى أشخاص من إحدى الكنيستين لإزعاج طائفة من الكنيسة الأخرى ، وعلى الصعيد السياسى اشتمل هذا البيان على فقرات مهمة تؤكد حقوق شعب فلسطين ، ورفض المغالطات التى تهدف إليها إسرائيل بهدف استمالة العالم المسيحى لادعاءاتها ..فى البيان تأكيد على الوقوف إلى جانب آلاف المتألمين والمشردين من شعب فلسطين ..والتعبير عن رفض استخدام الحجج الدينية لأغراض سياسية فى الشرق الأوسط ، والدعوة إلى حل القضية الفلسطينية حلاً عادلاً ليسود سلام حقيقى .. مع إعلان اتفاق كنيسة روما معنا على أن السلام الحقيقى هو السلام الذى يقوم على العدل .

وبعد هذه الزيارة أرسل البابا بولس السادس خطابًا إلى البطريرك اسطفانوس الأول بطريرك الأقباط الكاثوليك فى مصر فى ذلك الوقت ، يؤكد فيه على احترام الاتفاقية التى أبرمت بيننا كبداية لعهد جديد فى العلاقات بين الكنيسة الكاثوليكية والكنيسة الارثوذكسية المصرية .. وبعد ذلك بدأ الحوار اللاهوتى الرسمى بين الكنيستين بتشكيل اللجنة الدولية المشتركة للحوار ، وعقدت اجتماعها الأول فى القاهرة فى مارس ١٩٧٤ ، واتفقت على نقاط دينية كما اتفقت على التعاون لمواجهة انتشار المادية والإلحاد وصراعات الأيديولوجيات ، وحذرت اللجنة من استغلال البعض هذا التعاون لضم أعضاء من كنيسة إلى أخرى ، وتوصلت اللجنة المحلية بعد ذلك إلى اتفاق على توجيه أنشطة الإرساليات الكاثوليكية بمصر لخدمة الاحتياجات الدينية للكنيسة المصرية ، وأن تسمح السلطات الكاثوليكية لنا بفحص المشروعات الاجتماعية التى تقوم بها الإرساليات فى المناطق التى يعيش فيها الأرثوذكس

لتحديد المشروعات التى يمكن أن نقوم نحن بها أو نشترك فيها مع الكاثوليك .

عقدنا اجتماعات أيضا مع هيئة برو – أورينتا وهى هيئة كاثوليكية فى النمسا ومعنى اسمها « مع الشرق » وهدفها تنمية العلاقات بين الكنيسة الكاثوليكية والكنائس الأرثوذكسية فى المشرق ..

وهكذا امتد نشاطنا ..

□□□

قلت : ومع الطوائف المسيحية فى داخل مصر .. هل كان هناك جهد مماثل .. ؟

قال :

نعم .. منذ سنة ١٩٧٦ ونحن نعمل على تحقيق التعاون مع الكنيسة الإنجيلية ، واتفقنا على كيفية تفادى الأمور التى تثير الشكوك ولا تؤدى إلا إلى إيذاء الصالح العام ، وتفادى استخدام وسائل الإغراء لاقتناص الأقباط خارج كنيستهم ، وتفهم العقيدة الأرثوذكسية من ناحية ، والإنجيلية من ناحية أخرى لتفادى التصادم الانفعالى ، وعقد حلقة دراسية عن الاتجاهات الفكرية الحديثة التى تمثل خطرا على العقائد وكيفية مواجهة الكنيسة لها .. واستمر الحوار عام ١٩٨٨ وتوصلنا إلى نقاط الاتفاق ، ونقاط الاختلاف بيننا وهى كثيرة .. وظل الحوار عام ١٩٨٩ ، و١٩٩٠ ، وهكذا ..

والحوار قائم بيننا وبين الكنيسة الإنجليكانية والاتحاد العالمى لكنائس المصلحة ، مع الكنيسة اللوثرية فى المانيا ، وكنيسة السويد ، وعقدنا مؤتمرًا عن الرهبنة ، ومؤتمرًا لكل رؤساء الطوائف المسيحية فى مصر ، ومؤتمرًا

آخر من أجل التنمية شاركت فيه جميع الكنائس ، ومؤتمرات كثيرة جدا لأساتذة وطلبة كليات اللاهوت ، ومع مجلس كنائس الشرق الأوسط ..

ثم قال البابا شنودة :

العمل كبير .. لا نستطيع حصره .. نحتاج إلى مجلدات .. فقد قمنا بأعمال ونظمنا لقاءات .. ومؤتمرات وزيارات مع مجلس الكنائس العالمى ، ومجلس كنائس الشرق الأوسط ، ومجلس كنائس أفريقيا ، ومجلس الكنائس المحلية والإقليمية .. وكل واحدة من هذه المجالات فيها أعمال تملأ صفحات وصفحات ..

قلت :

لم أكن أحسب أن كل هذا النشاط يمكن أن يتم فى فترة قصيرة كهذه .. المسألة تحتاج إلى وقفة لنعرف ونتابع .. ودعنا نتوقف عند مجلس الكنائس العالمى لنعرف ماذا يفعل معنا ومع غيرنا ..

□□□

فى فبراير ١٩٩١ قررت الجمعية العمومية السابقة لمجلس الكنائس العالمى فى اجتماعها فى استراليا اختيار البابا شنودة رئيسا لمجلس الكنائس العالمى عن الارثوذكس الشرقيين والشرق الأوسط . تم هذا الاختيار بحضور ٨٤٢ مندوبا يمثلون ٣١٧ كنيسة . وجاء فى حيثيات القرار أن اختيار البابا شنودة جاء تقديرًا لجهوده فى العمل المسكونى ، وتقديرا لمكانته فى العالم المسيحى . وألقى قداسة البابا كلمة أمام الجمعية العمومية عن الروح القدس بدأها وختمها بقوله : « لنعمل معا فى بناء ملكوت الله » .

ولكن هذا الاختيار أثار اعتراضات وانتقادات من داخل وخارج الكنيسة ،

وترددت أقوال عن صلة مجلس الكنائس العالمى بالمخابرات الأمريكية ، وعن الأهداف الحقيقية لهذا المجلس وأسباب تقديمه الأموال الكثيرة ..ومن أين هذه الأموال ؟ ولماذا يقدمها للكنيسة المصرية ؟ وأين تذهب ؟ وتصدى قداسة البابا للمتشككين والمعترضين وأجاب عن تساؤلات المتسائلين . ولكن بقيت حتى الآن أصوات تثير الشكوك وما هو أكثر من الشكوك .. !

بدأت الاعتراضات عندما قام البابا شنودة بأول زيارة لمقر مجلس الكنائس العالمى فى جنيف ، وكان ذلك فى فبراير ١٩٧٩ ، وحضر اجتماعًا عامًا فى مقر المجلس حضره أكثر من ٣٠٠٠ مدعو ، وتحدث فى هذا الاجتماع السكرتير العام للمجلس عن الكنيسة المصرية ودورها فى التاريخ وفى مجال الدراسات اللاهوتية ،ثم تحدث البابا شنودة فأشاد بمجلس الكنائس العالمى ودوره فى العمل المسكونى وخدمة التعليم المسيحى . وعاد البابا من جنيف ليجد التساؤلات والشكوك وواجهها بردود حاسمة .

وبعد اختيار البابا شنودة كأحد رؤساء مجلس الكنائس العالمى واظب على حضور اجتماعات اللجنة التنفيذية واللجنة المركزية فى جنيف بسويسرا (١٩٩٢ و١٩٩٣ و١٩٩٥) ، وجوهانسبرج بجنوب أفريقيا (١٩٩٤) .

وبعد أيام من اختيار البابا شنودة كتب الأستاذ فهمى هويدى مقالاً ساخنًا فى مجلة « المجلة » بعنوان « ماذا يريد منّا مجلس الكنائس العالمى ؟ » أثار فيه مسائل لم تكن تخطر على بال كثيرين ممن أسعدهم أن يكون البابا أحد رؤساء هذا المجلس العالمى .

□□□

بدأ الأستاذ فهمى هويدى مقاله بأن المسألة القبطية ليست شأنًا مصريًا فقط ، ولكنها ورقة فى معادلات وحسابات المنطقة ، وفى ظل المدّ الإسلامى

المراهن فإن تلك الورقة تكتسب وضعًا خاصًا فى حسابات الآخرين ، الذين يعنون بمستقبل المنطقة ، ومن هذه الزاوية يصبح اختيار بطريرك الأقباط فى مصر ، البابا شنودة ، ضمن رؤساء مجلس الكنائس العالمى أمرًا لافتًا للنظر .

ثم دخل فهمى هويدى فى الموضوع .. فقال إن المراجع تشير إلى أن المجلس ولد رسميا فى عام ١٩٤٨ فى أعقاب الحرب العالمية الثانية ، وإنه منذ ميلاده لم يكن بعيدا عن الحرب الباردة بين المعسكرين الرأسمالى والشيوعى ، وإنما كان أحد الأدوات التى تضغط بالكنيسة على النظم الشيوعية . ومن أجل تحقيق ذلك الهدف جرى حشد كنائس العالم وتجميعها تحت مظلة ذلك المجلس الذى انعقد لواء قيادته للكنائس البروتستانتية الأوربية والأمريكية وأصبح يضم أكثر من ٣٠٠ كنيسة من مختلف أنحاء العالم . غير أن فكرة تجميع الكنائس فى كيان واحد لم تكن وليدة تلك المرحلة ، وإنما هى برزت فى أوائل القرن الحالى وكان لها هدف آخر ، فقد عقد فى سنة ١٩١٠ فى أدنبره ببريطانيا المؤتمر الأول للإرساليات العالمية مستهدفًا توحيد نشاط الإرساليات التى توفدها كنائس أوربا إلى بقاع الأرض ، وآسيا وأفريقيا فى المقدمة منها ، فى ذلك المؤتمر تشكل « المجلس الدولى للإرساليات » لتنسيق العمليات التبشيرية بالدرجة الأولى .

وركز فهمى هويدى فى مقاله على نقاط محددة فقال :

● بعد تلك المرحلة ظهرت محاولتان للتقريب بين الجماعات المسيحية مختلفة المذاهب . كانت أولاهما حركة عرفت باسم « الحياة والعمل » عقدت مؤتمرها الأول فى ستوكهولم سنة ١٩٢٥ ، والثانى فى أكسفورد بإنجلترا

سنة ١٩٣٧ . وكان الهدف من هذه الحركة هو التقريب بين المسيحيين ذوى العقائد المختلفة على أساس من الأخلاق المسيحية التى لايثور حولها أى كلام . والحركة الثانية حملت اسم « الإيمان والنظام » وكان محور نشاطها هو التقريب فى نطاق العقائد ذاتها ، وقد عقدت ثلاثة مؤتمرات فى لوزان (١٩٢٧) وأدنبره (١٩٣٧) والسويد (١٩٥٢) . وفى مؤتمرى عام ١٩٣٧ اللذين عقدتهما الحركتان فى أكسفورد وأدنبره تقرر إدماج الجماعتين فى مجلس عام للكنائس يباشر مهامه على نطاق أوسع من محيط الفاتيكان الذى يمثل الكنيسة الكاثوليكية الرومانية وحدها . وفى عام ١٩٣٨ بدأ التخطيط لإنشاء مجلس الكنائس الذى كان مقررًا عقده فى سنة ١٩٤٠ أو ١٩٤١ لكن ظروف الحرب العالمية حالت دون ذلك ، فاجتمع المجلس لأول مرة فى هولندا سنة ١٩٤٨ بينما انعقد الاجتماع الثانى فى ايفانستون بأمريكا عام ١٩٥٤ .

● هناك شهادات تلقى الضوء على مهمة مجلس الكنائس العالمى .

ففى رسالة بعنوان « مجلس الكنائس العالمى من واقع تاريخه » أصدرتها عام ١٩٦٣ جماعة من المثقفين الأقباط فى مصر وردت الشهادة التالية : « إن السياسة فى رأى مجلس الكنائس العالمى هى المجال الذى يتحتم على الكنائس فى دول أفريقيا وآسيا وأمريكا اللاتينية أن تعمل فيه ، وليس جائزًا للكنيسة أن تحدد نطاق عملها بتوجيه الأفراد دينيًا ، ولابد من معارضة الكنائس التى تمتنع عن التدخل فى سياسة الدول التى تحيا هذه الكنائس فيها .. ولابد أن يكون واضحًا أن المجلس وهو يتحول عن الموقف الذى تحدد فى أكسفورد عام ١٩٣٧ (بفصل الكنيسة عن سياسة الدولة) إنما يعمل ذلك عن وعى وإصرار ، ففى مؤتمر تسالونيكى الذى عقده المجلس

سنة ١٩٥٩ ، يرفض المجلس أن يطبق فى البلاد النامية نظام الفصل بين الكنيسة والدولة كما هو مطبق فيها ، بل يريد أن يجعل الكنيسة تقتحم فى الدول النامية نطاق نشاط الحكومات واختصاصاتها ، لأن النظام الغربى القائم على الفصل بين الحكومة والكنيسة لا يمكن – فى رأى المؤتمر – تطبيقه فى الدول النامية .

□□□

وخلص الباحثون الأقباط المصريون فى دراستهم إلى نتيجة قالوا فيها : « إننا لا نرى فى مجلس الكنائس العالمى إلا تكتلاً سياسيًا يقوم على أساس دينى ، ولا يقلل من ذلك انضمام الكنائس الأرثوذكسية الأخرى إليه ، فهذه المجموعة لا تمثل إلا أقلية ضئيلة تكتسحها أغلبية ضخمة من الأصوات التى للكنائس الغربية البروتستانتية ، علاوة على أن استخدام هذه الكنائس الأخيرة لسلاح المعونات التى تنفقها الكنائس الموجودة فى أفريقيا وآسيا لابد أن يؤثر على أصوات مندوبيها أثناء المداولات » ..

● للأستاذ محمد حسنين هيكل شهادة أخرى سجلها فى كتابه « خريف الغضب » جاء فيها مايلى : « فالمجلس تألف سنة ١٩٤٨ إبان اشتداد رياح الحرب الباردة ، وكانت عملية إنشاء مجلس الكنائس العالمى تعكس دون أدنى شك رغبة جهات أمريكية معينة فى أن يقوم الدين بدور رئيسى فى الصراع ضد ما كانت هذه الجهات تسميه « الإلحاد الشيوعى » وفى الحقيقة فإن تلك كانت معركة سياسية وإن تنكرت ببراقع الدين ، بل إن التحقيقات التى جرت فى الكونجرس فيما بعد أثبتت أن مجلس الكنائس العالمى كان من الجهات التى حصلت على مساعدات ضخمة من وكالة المخابرات المركزية الأمريكية .. وفوق منصة الرئاسة يوم الافتتاح كان يجلس وزير الخارجية

اللاحق للولايات المتحدة الأمريكية (جون فوستر دالاس) شقيق الرئيس المزمن لإدارة المخابرات المركزية الأمريكية ألان دالاس ، ومن فوق المنصة فى جلسة تأسيس مجلس الكنائس العالمى كان كلام دالاس داعيا إلى التأمل . وكان من بين ما قاله : « أن نبشر بالمسيحية فهذا معناه أننا نبشر بالحضارة الغربية .. » .

● وعلى حسب شهادة الأستاذ هيكل فإن الرئيس الراحل جمال عبد الناصر كان يدرك المركز الممتاز للكنيسة القبطية ودورها الأساسى فى التاريخ المصرى ، ثم إنه كان واعيًا لمحاولات الاستقطاب التى نشط لها مجلس الكنائس العالمى ..

● وحسب الشهادة نفسها فإن الأنبا صموئيل أسقف الخدمات فى الكنيسة القبطية كان اختصاصه يشمل الاتصال مع الكنائس الأخرى (الفاتيكان وكنتر برى) ومع مجلس الكنائس العالمى ، وقد استطاع أن يحصل لبعض العائلات القبطية على توكيلات عديدة لأكبر البنوك ، خصوصا فى ألمانيا الغربية ، التى بدأت فى ذلك الوقت تلعب دورًا ظاهرًا فى نشاط وتمويل وتوجيه مجلس الكنائس العالمى ، بعد أن تأثرت الموارد الأمريكية لهذا المجلس نتيجة لاكتشاف علاقته بوكالة المخابرات المركزية الأمريكية .. وحين قتل الأنبا صموئيل مع الرئيس السادات فى حادث المنصة ظهر أن هناك حسابًا باسمه فى أحد البنوك السويسرية مقداره ١١ مليون جنيه استرلينى ، وكانت هناك فى نفس الوقت وصية من الأنبا صموئيل تحدد أن هذه الأموال أموال الكنيسة ولا حقّ فيها لأحد غيرها .

● المفكر المصرى القبطى المعروف الدكتور وليم سليمان قلادة له شهادة ثالثة أثبتها فى كتابه « الكنيسة المصرية تواجه الاستعمار والصهيونية » وفيها :

« إن دعوة مجلس الكنائس تتجه فى صراحة تامة إلى ضرورة تدخل الكنائس داخل البلاد المستقلة حديثًا فى سياسة بلادها ، وابتدع لاهوتية المجلس لتبرير هذا الاتجاه نظرية لاهوتية تقول : إن نشاط الدولة فى كل نواحيه السياسية والاقتصادية والاجتماعية هو تحت سلطان الله ، ولابد للكنائس من أن تبدى رأيها فى هذا النشاط ، ولابد من الاستعانة بخبرة الكنائس الغربية حتى يكون اتجاه الكنيسة داخل الدولة المستقلة حديثا متفقا مع اتجاه الكنائس المسيحية فى العالم (الغربى) ويصل التناسق بين اتجاهات المجلس والاتجاه الغربى فى السياسة الدولية إلى حد أن أحد الكتب التى أصدرها المجلس تضمن نظرية اجتماعية دينية تدعو إلى ضرورة إجراء صلح بين العرب وإسرائيل » .

□□□

وللدكتور غالى شكرى الناقد القبطى شهادة أخرى فى كتابه « الأقباط فى وطن متغير » ذكر فيها أنه « فى ديسمبر من عام ١٩٦١ عقد فى العاصمة الهندية نيودلهى المؤتمر العام الثالث لمجلس الكنائس العالمى ، وأصدر قرارًا يبرئ اليهود من دم المسيح ، ويحذر الكنائس من التعليم المعادى لليهود .. وقد كان هذا القرار هو أداة الضغط الأولى على الفاتيكان ليصدر وثيقته الشهيرة فى تبرئة اليهود من دم المسيح .

وهنا يقول فهمى هويدى : هذا هو مجلس الكنائس العالمى طبقا لشهادة الشهود .

□□□

ويواصل فهمى هويدى استعراضه لموقف الطرف الثانى وهو الكنيسة الأرثوذكسية المصرية ، وكان لها – تقليديًا – موقف آخر ، فبينما يتحرك مجلس الكنائس فى إطار مشروع سياسى أيا كانت طبيعته وأهدافه ، فإن

الكنيسة المصرية ظلت تتمسك برسالة روحية بحتة ، فضلا عن أن رصيدها التاريخي ظل مبنيًا على استقلالها على الصعيدين الروحي والوطني . وفي رسالة أخرى لنخبة من مثقفي الأقباط المصريين عنوانها « مجلس الكنائس العالمي من واقع قراراته » إيضاح لهذه النقطة على النحو التالي :

« من الأمور البديهية في المسيحية أن السيد المسيح له المجد لم يأت إلى هذا العالم ليؤسس مملكة أرضية زمنية يحكمها هو ، وتخلفه في حكمها كنيسته أو رؤساؤها ، وهو ما أوضحه الإنجيل بشكل حاسم (مثل قول المسيح : مملكتي ليست في هذا العالم) والكنيسة الأرثوذكسية تبرأ من هذا الإقحام المغرض للدين في الأمور الزمنية ، وهي ترى فيه مسخًا وتشويهًا للمسيحية يؤدي بها إلى أن تكون فريسة لمحاولات الرجعية كي تستغل الدين ضد طبيعته لعرقلة التقدم ، الكنيسة القبطية الأرثوذكسية روحانية ، ترى نفسها قبل كل شيء جماعة عابدة لله ، ولذلك تترك الكنيسة الأرثوذكسية عامدة تفصيلات الحياة السياسية والاقتصادية للمختصين ، أما أن يغتصب مال قيصر لينسب زورًا وخداعًا لله ، فهو عمل لا تراه كنيستنا إلا على أنه ردة . وحين تواجه الكنيسة القبطية حركات التقارب بين الكنائس والطوائف المسيحية ، فإنها تؤمن بأن أساس العمل في هذا المجال هو الرجوع إلى الإيمان الرسولي المستقيم ، فليس هناك أي عامل يمكن أن يقرب بين هذه الكنائس وبعضها إلا وحدة الإيمان ، وفي خارج هذا النطاق فإن العمل الذي يمكن أن يتم لا يسوغ وصفه بأنه عمل مسيحي أو كنسي ، إنه تقارب نفعي بحت يخرج عن اختصاص الكنيسة ويجاوز إمكاناتها » .

□□□

وللبابا شنودة مقالة في سنة ١٩٥١ وكان أسقف التعليم ، تحت عنوان « رأينا في اتحاد الكنائس » نشرها في مجلة مدارس الأحد عدد إبريل ١٩٥١

قال فيها : « نحن لا نؤمن بوجود كنائس كثيرة ، وإنما نؤمن بكنيسة واحدة هى جماعة المؤمنين الذين يؤمنون إيمانا مستقيما ، أما الخارجون على إيمانها فإنهم يبعدون ، وهذا ما كانت تفعله الكنيسة الأولى .. كانت تخرج من عضويتها كل مبتدع مصر على بدعته ، وكانت تحرم الاختلاط بهؤلاء الهراقطة والصلاة معهم . ويضيف البابا شنودة فى هذا المقال : « لا يليق إطلاقا بممثل الكنيسة المرقسية السليمة الرأى أن يشترك فى اجتماع دينى تحت رئاسة أحد الخارجين عن الإيمان الصحيح » .

□□□

بعد كل هذا تساءل فهمى هويدى : ما الذى تغير فى موقف الكنيسة المصرية حتى تنخرط فى أنشطة مجلس الكنائس العالمى وحتى تدفع ببطريرك أقباط مصر إلى رئاسته ؟

ويجيب : أهم متغير فيما نرى هو الطرف الثالث فى المعادلة المتمثل فى البابا شنودة شخصيًا الذى تولى منصبه عام ١٩٧١ . نجد أضواء كثيرة على دور البابا شنودة فى قيادة الكنيسة المصرية فى كتابين أصدرهما باحث مصرى مسيحى (بروتستانتى) هما : « المسيحية السياسية فى مصر » و« الاحتجاج الدينى فى مصر » . وفى الكتاب الأخير يقرر المؤلف الدكتور رفيق حبيب أن الإحياء المسيحى يؤرخ له بتاريخ اعتلاء البابا شنودة لكرسى مارمرقس . وفى الكتاب الأول يشرح المؤلف الكيفية التى تطور بها الخطاب الكنسى فى مصر حتى وصل إلى خطاب « المعارضة السياسية » الذى تمثل فيما أطلق عليه البابا شنودة « العنف السلبى » وهو التعبير الذى استخدمه البطريرك فى رسالة له عنوانها « الحروب الروحية » . لقد اتجهت الكنيسة إلى أداء دور سياسى تحت قيادة الأنبا شنودة ، وهو دور تزامن وبروز ظاهرة

المد الإسلامى فى مصر ، حتى يبدو كأن ظهور الأنبا شنودة والتطور الذى أحدثه فى رسالة الكنيسة كان تعبير الاستجابة لطبيعة الظرف التاريخى الذى مرت به البلاد . غير أن ثمة تزامنا آخر يظل لافتا للنظر هو أن الكنيسة المصرية كانت فى حالة اشتباك مع مجلس الكنائس العالمى فى الستينات التى تعتبر مرحلة « التحرر الوطنى » فى المنطقة . حيث كان الأنبا كيرلس البابا السابق ، من معارضى قيام الكنيسة المصرية بدور فعال فى اتحاد الكنائس العالمى رغم أن مصر كانت ممثلة فيه . وبعد سنوات « الانفتاح » التى شهدتها مصر فى السبعينات وتنامى معها النفوذ الغربى فى المنطقة ، لاحت بوادر التصالح والتقارب مع مجلس الكنائس العالمى ، وتوجت تلك العلاقة الحميمة بانتخاب الأنبا شنودة واحدا من الرؤساء السبعة للمجلس الذين يمثلون مختلف كنائس العالم .

□□□

ولقد ذكر الأستاذ هيكل فى كتابه « خريف الغضب » أن الصلات التى عقدتها الكنيسة المصرية بالخارج أضافت لها احتمالات للنفوذ لم تكن موجودة من قبل . هل هو نفوذ مطلوب فى مواجهة الدولة ؟ أو أنه ثقل مطلوب فى مواجهة المد الإسلامى ؟ وما الذى يمكن أن يترتب على هذا الاحتمال أو ذاك فى المستقبل ؟

يقول فهمى هويدى إن الكنائس البروتستانتية الأوربية والأمريكية المسيطرة على مجلس الكنائس العالمى منذ إنشائه مخترقة صهيونيا بعلم الجميع ، واعتمادها على التوراة كنص دينى له نتائجه الخطيرة من وجهة النظر العربية .

ويقول أيضا إن علاقة مجلس الكنائس العالمى بالمخابرات المركزية

الأمريكية التى أشار إليها الأستاذ هيكل تواتر الحديث عنها فى مصادر عدة ، ودور مجلس الكنائس العالمى فى دعم حركة التمرد فى جنوب السودان يذكر عادة فى هذا السياق .

وأخيرا يقول فهمى هويدى : إن البطريرك المصرى رمز مقدر ومحترم ، وهو فوق الشبهة ما فى ذلك شك ، لكن تلك الملابسات يتعذر تجاهلها وجميعها تستحق المراجعة والتفكير .

□□□

ولم يكن فهمى هويدى وحده الذى أثار هذا الموضوع منذ عام ١٩٩١ ، ولكن الموضوع ظل مثارا طوال هذه السنوات بنفس الأفكار ولكن بصياغات مختلفة إلى أن أصدر القس إبراهيم عبد السيد كتابا بعنوان « أموال الكنيسة القبطية » فى يونيو ١٩٩٧ أشار فيه أيضا إلى مقال البابا شنودة فى مجلة مدارس الأحد فى ١٩٥١ بعنوان « رأينا فى اتحاد الكنائس » وركز على فقرة قال فيها البابا شنودة : « إن التقارب بين الكنائس يجب أن يكون هدفه الوحدة لا الاتحاد ، فالاتحاد هو ربط عناصر متفرقة برباط واحد ، أما الوحدة فهى أن يصير الجميع واحدا كما يقول السيد المسيح ، وبالتأكيد تتنافى الوحدة مع التناقض ، فهل يريد هؤلاء جميعا إن كانوا يسعون إلى وحدة الإيمان والتعليم أن يبحثوا معنا كل ما بينهم من اختلافات ويصلوا فيها إلى رأى واحد ، أو هم يريدون وحدة شكلية تضم عددا وفيرا من المتناقضات ؟ فإن الوحدة المطلوبة يجب ألا تتم إلا على أساس سليم من وحدة الإيمان والتعليم .

ويضيف القس إبراهيم عبد السيد أن مجلس الكنائس العالمى يدفع الكنائس

التى ترتبط به إلى التدخل فى سياسة بلادها ، كما أنه يزعزع ولاء الكنيسة للوطن ، ولذلك ظلت الكنيسة المصرية بعيدة عن عضوية هذا المجلس ، ولو أن مندوبها كان يحضر الجلسات بصفته مراقبا وليس عضوًا حتى نهاية عهد البابا كيرلس السادس سنة ١٩٧١ ، ثم تطورت الأمور سريعا حيث اندمجت الكنيسة المصرية تمامًا فى هذا المجلس كعضو كامل وعامل ثم اختيار بطريركها واحدًا من رؤسائه .

وتساءل القس إبراهيم عبد السيد : ما تفسير الكنيسة لهذا التغير فى المواقف ؟ وإن كانت الإجابة هى الحصول على المعونات التى ترد من هذا المجلس بسخاء فأين تذهب هذه المعونات ؟ وما هى حسابات الإيرادات والمصروفات لهذه المعونات فيما مضى من سنوات ؟

كل هذا أضعه أمام البابا شنودة ..

فماذا يقول .. ؟

□□□

يقول البابا :

أولا مجلس الكنائس العالمى هو أكبر وأقدم المجالس المسكونية الحالية ، والكنيسة القبطية المصرية عضو مؤسس فيه منذ سنة ١٩٤٨ . والجمعية العمومية لهذا المجلس هى التى اختارت البابا شنودة أحد رؤساء المجلس ، كما أن للكنيسة القبطية مقعدًا دائما فى اللجنة المركزية لهذا المجلس منذ تأسيسه .

ويقول البابا :

ثانيا : إن كنيستنا لها دور فى مجالات متعددة وليس مجلس الكنائس

العالمى وحده . فالكنيسة القبطية قامت بدور كبير فى تأسيس مجلس كنائس الشرق الأوسط ليحل محل مجلس كنائس الشرق الأدنى الذى كان مقصورًا على الكنائس الإنجيلية بالمنطقة . وللكنيسة المصرية ثمانية أعضاء فيه وعقد مؤتمره الأول فى قبرص سنة ١٩٧٤ وأصبح مجالا للتعاون بين جميع كنائس المنطقة فى التنمية البشرية ، والإعلام ، والحوار اللاهوتى ، إلى جانب تعريف الكنائس الأخرى فى العالم بقضايا الشرق الأوسط ، وتقديم المساعدات للاجئين الفلسطينيين ، ومساعدة ضحايا الكوارث فى بلاد المنطقة .

وقد تم اختيار البابا شنودة رئيسا للمجلس فى نوفمبر ١٩٩٤ ورأس الجمعية العمومية فى ليماسول بقبرص ، وشارك فى افتتاح المقر الجديد لمجلس كنائس الشرق الأوسط فى مصر الجديدة بالقاهرة .

وقبل ذلك عقدت اجتماعات اللجنة التنفيذية لمجلس كنائس الشرق الأوسط فى دير الأنبا بشوى فى وادى النطرون .

فلماذا لم يعترض أحد على دورنا فى مجلس كنائس الشرق الأوسط .. ؟

□□□

ويقول البابا :

الكنيسة القبطية أيضا عضو مؤسس لمجلس كنائس كل أفريقيا ، ولها مقعد نائب الرئيس منذ تأسيسه حتى الآن ، وقد زرت مقر المجلس عند زيارتى إلى كينيا فى أكتوبر ١٩٧٩ وزرته أيضا فى رحلتى الثانية إلى كينيا فى يناير ١٩٩٤ وقال السكرتير العام للمجلس فى كلمة الترحيب : إن

الكنيسة القبطية المصرية هى أم الكنائس فى أفريقيا وعن طريقها دخلت المسيحية إلى هذه القارة فى القرون الأولى للمسيحية .

وقد قمنا باستضافة مؤتمر كنائس أفريقيا وكنائس الشرق الأوسط معا فى يونيو ١٩٧٤ لتقوية الصلات بين المسيحيين فى أفريقيا والشرق الأوسط . واجتمعت اللجنة العامة لكنائس كل أفريقيا فى القاهرة فى فبراير ١٩٧٦ وكذلك فى فبراير ١٩٨٣ بحضور ١٠٨ أعضاء و ١٥ مجلسًا مسيحيًا .

فلماذا لم يفكر أحد فى الاعتراض على ذلك .. ؟

ومع امتداد وانتشار الكنيسة القبطية المصرية تأسست لها كنائس فى كل قارات العالم ، وأصبحت عضوا عاملا فى كثير من مجالس الكنائس القومية والإقليمية والمحلية فى الولايات المتحدة وأوربا واستراليا وأفريقيا . ومن هذه المجالس : المجلس القومى للكنائس بالولايات المتحدة ، ومجلس كنائس استراليا ، ومجلس كنائس المانيا ، كما أسسنا منظمة للكنائس الأفريقية المستقلة ، وأقمنا لها مؤتمرًا فى نوفمبر ١٩٧٨ بحضور ٧ دول أفريقية .

o ألا يدل ذلك على أن الكنيسة القبطية لها دور فى العالم كله ؟ .

ومع ذلك نناقش موضوع مجلس الكنائس العالمى .

□□□

يقول البابا :

هل هناك خطأ فى أن يكون ممثل الكنيسة القبطية أحد رؤساء مجلس الكنائس العالمى بدلا من أن يكون عضوا فى اللجنة المركزية أو اللجنة التنفيذية فقط .. ؟ هل المهم هو الاشتراك أو عدم الاشتراك أو هو درجة التمثيل فيه .. ؟ ما دمنا مشتركين فى هذا المجلس منذ إنشائه فلماذا نبقى فى دور

المراقب ؟ ولماذا لا يكون لنا فيه دور فعال ومؤثر ؟ .. ومجلس مثل هذا تشترك فيه أكثر من ٣٠٠ كنيسة من أكثر من ١٠٠ دولة هل من الصالح أن نغيب عنه .. بينما الكنيسة الكاثوليكية ليست عضوا فيه ولكن لها مراقبون يحضرون جلساته ، كما يدعى للجلسات ممثلون لعديد من الأديان .. ونحن نحرص على أن تكون مصر ممثلة فى الهيئات العلمية أيا كان نوعها سياسية أو اجتماعية أو علمية .. فهل من الضرر أن تكون مصر ممثلة فى هيئة دينية عالمية لها صلة بالأمم المتحدة مثل مجلس الكنائس العالمى ؟ .

يقول البابا :

ما الضرر فى أن تكون مصر عضوًا مؤثرًا فى مناقشات وقرارات مجلس الكنائس العالمى .. ؟

يقولون : إنه حدث تغيير فى موقف الكنيسة القبطية من الرفض إلى القبول وأنا أقول : لم يحدث تغيير .. الكنيسة القبطية كما هى عضو فى هذا المجلس خلال عهود ثلاثة من البطاركة : البابا يوساب الثانى حتى سنة ١٩٥٦ ، والبابا كيرلس السادس حتى آخر سنة ١٩٧١ ، ثم البابا شنودة الثالث . إذن فليس صحيحا أن الكنيسة كان لها موقف ضد المجلس وعلاقتها به لم تنقطع .

□□□

ويقولون : إن مجلس الكنائس العالمى يدفع الكنائس للتدخل فى الشئون السياسية فى بلادنا ..

ويقول البابا :

لقد صدرت مجموعة من النشرات فى سنة ١٩٦٢ كانت تضم نصف

الحقيقة ، أما النصف الآخر للحقيقة فهو أن البابا كيرلس السادس شكل لجنة لفحص الأمر مع كبار رجال الأقباط ورجال الدين ، وكشفت اللجنة زيف الاتهامات التى وردت فى تلك النشرات ، وردت اللجنة على هذه الاتهامات فى كتيب من ٣٢ صفحة ، وكان الإنصاف يقتضى على من يشير إلى المنشورات التى كانت تحمل الاتهامات أن يشير أيضا إلى تقرير اللجنة وردها على هذه الاتهامات .

وماذا يقول البابا شنودة على ما يثار من أن مجلس الكنائس العالمى هو الذى يدفع الكنائس إلى التدخل فى شئون بلادها وممارسة الضغوط السياسية ؟

– هذا كان يقال فى سنة ١٩٦٢ وكان المقصود به هو مندوب الكنيسة القمص مكارى السريانى ، وبعد النشرات التى تضمنت هذه الأقوال وغيرها رقى القمص مكارى إلى أسقف فى أواخر سبتمبر من نفس السنة وهو الأنبا صموئيل مما يدل على أن قداسة البابا كيرلس السادس لم يتأثر مطلقا بما ورد فى هذه النشرات ، واستمر الأنبا صموئيل فى تمثيل الكنيسة القبطية فى المجلس بإذن البابا كيرلس إلى حين وفاته عام ١٩٨١ . وأود أن أضيف أنه لو كانت الدولة قد ارتأت أن لعلاقة الكنيسة بمجلس الكنائس العالمى أبعادا ضارة لكان موقفها قد اختلف .

ويضيف البابا شنودة :

تاريخيا معلوم أن مجلس الكنائس العالمى عندما وقع الاعتداء الثلاثى على مصر فى سنة ١٩٥٦ كان له موقف ضد العدوان ، وأصدر رئيس مجلس الكنائس العالمى ، ونائب رئيس اللجنة المركزية ، والسكرتير العام للمجلس ، قـرارا بإدانة العدوان ، أبلغته برقيًا إلى الكنائس الأعضاء فى

٢ نوفمبر ١٩٥٦ ، وكان من نتيجة ذلك أن ثار الضمير المسيحى ضد دول العدوان ، فقامت الكنائس واحتجت على العدوان ، وأرسل المجلس معونات إلى أهالى بورسعيد ، وأصدر الرئيس جمال عبد الناصر قرارا بإعفاء هذه المعونات من الرسوم الجمركية معربا عن التقدير لمجهودات مجلس الكنائس العالمى .

وقال البابا أيضا :

إذا كانت هذه النشرات التى يرجع تاريخها إلى عام ١٩٦٢ قد اتهمت مجلس الكنائس العالمى بأنه يدفع الكنائس الى التدخل فى شئون بلادها ، فإن الأنبا شنودة لم يكن هو بابا الكنيسة فى ذلك الوقت ، بل كان راهبا يعيش فى مغارة فى الجبل .

□□□

وماذا عن اتهام مجلس الكنائس العالمى بأنه واقع تحت تأثير قوى الصهيونية العالمية وأنه مخترق من الصهيونية منذ سنوات طويلة ؟

يقول البابا شنودة :

لو كان ذلك صحيحًا لما أدان المجلس عدوان إسرائيل على مصر عام ١٩٥٦ . ومن جهة أخرى فإن مندوب الكنيسة القبطية فى مجلس الكنائس نجح عام ١٩٥٤ فى إقناع المجلس بشطب اسم إسرائيل من تقارير المؤتمر واستجاب المؤتمر ، وكذلك نجح فى شطب عبارة « شعب الله المختار » فى مؤتمر المجلس فى نيودلهى سنة ١٩٦١ ، وأقنع مندوب الكنيسة المصرية المجلس بأن اسم إسرائيل فى كتب العهد القديم لاعلاقة له مطلقا بإسرائيل الحالية ككيان سياسى .

□□□

وماذا عن قرار مجلس الكنائس العالمى بتبرئة اليهود من دم المسيح وهو القرار الذى استند إليه الفاتيكان فيما بعد وأصدر قرارا من جانبه بنفس المضمون ؟

يقول البابا شنودة :

هذا ماقام به كاردينال كاثوليكى من ألمانيا ربما بدافع عقدة الذنب التى يعانى منها الألمان تجاه اليهود ، وكان المقصود بذلك القرار أن اليهود الحاليين لاعلاقة لهم بذنب آبائهم منذ أكثر من ١٩ قرنا ، ولا أحتاج إلى أن أعيد القول بأن الكنيسة المصرية عقدت مؤتمرات كنسية عديدة هاجمت فيها اليهود ، وحملتهم هذا الوزر . وهذه المؤتمرات مسجلة ، وموقفنا واضح وثابت لم يتغير إلى الآن ونكرره فى كل مناسبة ، ونحن فى مصر نقول : إن اليهود الحاليين لا يمكن تبرئتهم إلا إذا اعترفوا بذنب آبائهم القديم ، فإذا لم يعترفوا فهم مشاركون فى هذا الذنب .

ثم قال البابا :

أود أيضا أن أشير إلى أننى القيت محاضرة فى نقابة الصحفيين المصريين سنة ١٩٦٥ وكنت أسقف التعليم وقت أن كان النقيب الأستاذ حافظ محمود ، وكان موضوعها : « إسرائيل فى رأى المسيحية » هاجمت فيها إسرائيل بكل قوة وطبعت هذه المحاضرة ووزعت على نطاق واسع .. وعندما صرت بطريركا فى نوفمبر ١٩٧١ دعيت لإلقاء محاضرة فى نقابة الصحفيين أيضا عن إسرائيل ، وكان النقيب هو الأستاذ على حمدى الجمال ، وهاجمت إسرائيل بأسانيد من الكتاب المقدس تبين عدم صحة إدعاءاتهم . وأتذكر أننى حين كنت فى واشنطن عام ١٩٧٧ قابلت الرئيس الأمريكى جيمى كارتر

فى البيت الأبيض يوم ٩ أبريل وسألنى هل صحيح أننى قلت : إن اليهود ليسوا شعب الله المختار ؟ فقلت له : نعم اليهود ليسوا شعب الله المختار الآن ولو كانوا هم شعب الله المختار فلن نكون من شعب الله أنا وأنت ! فابتسم الرئيس كارتر واكتفى بهذه الإجابة ، وموقفنا من رفض الذهاب إلى القدس لزيارة أراضينا المقدسة بسبب خلافنا مع اليهود هو أمر معروف ولم تؤثر علينا الضغوط من أى جهة .. فمن الذى يستطيع أن يقول : إن الصهيونية لها تأثير علينا ؟

وكيف قبلتم قرار مجلس الكنائس العالمى بتبرئة اليهود من دم المسيح ؟

يجيب البابا شنودة :

ما حدث ليس مفهوما على النحو الصحيح .. أولاً من غير المعقول أن مجلس الكنائس يبرئ اليهود من دم المسيح .. كل ما حدث هو ضجة من الكاردنيال الكاثوليكى الألمانى علما بأن الكاثوليك ليسوا أعضاء فى مجلس الكنائس .. وهناك فرق بين أن يقول أحد الحاضرين مايشاء فى اجتماعات المجلس حتى ولو كان صاحب الرأى عضوا وبين أن يصدر عن المجلس قرار .. الحاضر أو العضو حر .. يستطيع أن يعبر عن رأيه الخاص . كما يشاء دون أن يكون هذا الرأى محسوبا على المجلس ، ولا يعتبر كل رأى يقال فى المجلس قرارا صادرا عنه ، وفوق ذلك ليس معقولا أن يتأثر الكاثوليك بما يصدر عن مجلس الكنائس حتى لو صدر عنه قرار لأنهم ليسوا أعضاء فى المجلس ، وعندما يثير كاردينال كاثوليكى مشكلة كهذه فهى تمس موضوعا ضد إيمان المسيحيين فى العالم ، ولا يجوز أن تلصق بمجلس الكنائس وليس للكاثوليك عضوية أو مشاركة فى القرارات .

□□□

كيف نثق فى أن مجلس الكنائس العالمى ليس له دور سياسى .. ولا يحرك الكنائس فى إطار استراتيجية سياسية مرسومة له ؟

يقول البابا شنودة :

دستور مجلس الكنائس صريح فى النص على أنه لا يتدخل فى شئون الكنائس ، ولكل كنيسة أن تقبل أو ترفض قراراته ، ولا يتدخل فى الشئون السياسية .. وقرارات هذا المجلس ليست قرارات بالمعنى المعروف ولكنها فى حقيقتها توصيات غير ملزمة إلا لمن يريد أن يلتزم بها .. دور مجلس الكنائس ينحصر فى الأعمال الإنسانية مثل الدفاع عن حرية الإنسان ، وإعانة اللاجئين ، والمساعدة فى الإغاثة فى حالات الكوارث ، والدفاع عن الشعوب التى تقاسى من التفرقة العنصرية أيا كان جنسهم أو دينهم ..

وفى هذا الإطار قدم مجلس الكنائس معونات إلى الجزائر والمغرب .

وكيف أصبح البابا شنودة أحد رؤساء مجلس الكنائس العالمى .. بعد أن كانت الكنيسة المصرية مجرد مراقب وليست عضوا ؟

يقول البابا :

إن اختيار رؤساء المجلس يتم بالانتخاب ، وفى اجتماع الجمعية العمومية فى كانبرا كان حاضرا أكثر من الف عضو ، وكانت كنيستنا مجرد عضو فى الجمعية العمومية من ثلاثين عضوا ، وكان لابد – حسب تقاليد المجلس – أن يكون هناك من بين رؤساء المجلس من يمثل الشرق الأوسط ومن يمثل الكنائس الشرقية القديمة ، وفى الدورة السابقة كان يمثل الشرق الأوسط البطريرك إغناطيوس بطريرك الروم الأرثوذكس فى إنطاكية ، ويمثل الكنائس القديمة المطران جرجيوس بنيودلهى ، والرؤساء والقيادات

يتغيرون كل سبع سنوات ، لذلك وقع الاختيار فى هذه الدورة على بابا الإسكندرية .

وقال البابا :

– لم يكن اختيارى وحدى .. ولكن تم أيضا اختيار البطريرك باثينوس بطريرك الروم الأرثوذكس بالإسكندرية ضمن رؤساء مجلس الكنائس العالمى ممثلا للعائلة الأخرى من الأرثوذكس .. فلماذا التركيز على البابا شنودة وحده ؟.. وهل لو تجاهل مجلس الكنائس بابا الإسكندرية كان ذلك أمرًا يرضى ويريح الذين يثيرون الزوابع ؟

هل يكفى ذلك لنغلق ملف مجلس الكنائس العالمى ولو مؤقتا ..

□□□

obeikandl.com

خـــاتمـة

الحديث عن الوحدة الوطنية فى مصر ليس من أغانى الشعراء ، ولكنه حقيقة تعيش بيننا منذ سنوات طويلة ، والذين يحاولون إيجاد تفرقة بين المسلمين والأقباط يصابون دائما بالفشل عبر التاريخ .. لأن الشعب المصرى شعب واحد .. من أصل واحد .. ليس فيه أقليات عرقية مثل الزنوج فى أمريكا القادمين من أفريقيا بينما أغلبية الأمريكيين قادمون من أوروبا ، فكل من يعيش فى مصر مصرى .. والهجرات الوافدة إلى مصر عاشت واندمجت وذابت فى بوتقة هذا المجتمع .

حين تسير فى الشارع لا تستطيع أن تميز بين المسلم والقبطى .. السحنة واحدة ، واللهجة واحدة ، وأسلوب الحياة والعادات والتقاليد الاجتماعية واحدة ، ويدهش الأجانب حين يرون أقباطا يحتفلون بشهر رمضان ، ويرون مسلمين فى مولد العذراء أو مار جرجس .. ويدهشهم أكثر أنهم يسمعون عن معارك أو خلافات بين الأقباط والمسلمين وعندما يأتون إلينا يبحثون عن أحياء الأقباط فلا يجدونها ، ويجدون الأقباط مع المسلمن فى شوارع واحدة ، وبيوت واحدة ، ويجدون المسلم والقبطى شريكين فى تجارة أو زراعة .

هذه هى مصر .. وهذه هى عبقرية المصريين .. أنهم اكتشفوا مبكرا جوهر العقيدة كما أرادها الله ، وهى أن الدين لله والوطن للجميع . أو كما قال لى البابا شنودة يوما : إن من صفات الله الدائمة العطاء ، فهو المعطى على

الدوام ، وبسخاء .. يعطى الكل .. ويشبع كل حى من غناه .. ويشرق على الأبرار ، ويمطر الصالحين والطالحين .. يعطى العصفور الهائم فى الجو ، ويعطى الدودة التى تدب تحت حجر .. يعطينا فوق مانطلب ، ويعطينا دون أن نطلب .. يعرف مانحتاج إليه بروح الأبوة ويقدمه لنا سواء كنا نصلى من أجل ذلك أو لانصلى .. وقد نصلى ولا نأخذ ؛ لأن الله يعطينا ما هو صالح لنا وليس مانطلبه ، فكثيرا مانطلب أمورا ليست متفقة مع مشيئته ، ولا توافق تدبيره الإلهى الذى ضعه لخيرنا ..

هذا هو الله .. فلماذا نعترض على مشيئته .. ولماذا نريد أن نغير ما أراده ؟ لقد أراد أن يخلق التراب قبل أن يخلقنا .. ثم خلقنا جميعا من هذا التراب ونفخ فيه نسمة حياة .. كل البشر إذن من مادة واحدة هى التراب .. ما معنى هذا .. أليس معناه أنه مادام الخالق واحدا ، وكل المخلوقات من مادة واحدة ، أن هناك صلة بين الله وكل البشر .. هى صلة المخلوق بالخالق والخالق بالمخلوق ، وهناك أيضا صلة تربط بين المخلوق وسائر المخلوقات ، وهى أنها جميعا من تراب .. ومادام الصانع واحدا ، والمصنوع جاء على إرادته ، فلماذا لا يعيش كل البشر فى محبة .. يختلفون فى أشياء كثيرة ، ولكنهم يتفقون فى شىء واحد هو الجوهر .. وهو أن كل البشر هم عبيد الله وصنائعه ، خلقهم ليعبدوه كل بطريقته .

وقال لى قداسة البابا أيضا : إن المسيحيين يسمَّون فى القرآن أهل الكتاب . ويقول القرآن : ﴿من أهل الكتاب أمة قائمة يتلون آيات الله﴾.

والقرآن يفرق بن علاقة المسلمين باليهود وعلاقتهم بالأقباط فى الآية : ﴿لتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا ، ولتجدن

أقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا إنا نصارى ذلك بأن منهم قسيسين ورهبانا وأنهم لا يستكبرون﴾ .

وقال لى البابا : إن عقيدة التثليث عندنا لا تعنى أننا نؤمن بثلاثة آلهة ، ولكن نحن نؤمن بإله واحد ، وعبارة الأب والابن والروح القدس عندنا تعنى تفاصيل الذات الإلهية الواحدة : عقل الله (الابن) وروح الله (الروح القدس) وكلها كيان واحد مثلما نقول إن الذات الإنسانية لها عقل ، ولها روح ، وهما فى كيان واحد ، فهذا التعبير لا يعنى تعدد الآلهة ، والمسيحية تُكفِّر من يقول بتعدد الآلهة ، ولا توافق على التعدد الذى كان موجودا عند قدماء المصريين مثل إيزيس وأوزوريس وحورس وكل منهم كيان مستقل ، وهذا حاربه الإسلام ، ولاعلاقة له بالمسيحية ، وأن الله لن يكون له ولد ، ولن تكون له صاحبة ، ولا يمكن أن نؤمن بأن الله – حاشا لله – له ولد من صاحبة ، وإن كان البعض فهم هذا من بعض التفسير الخاطئ ، وفى القرآن دليل على ذلك : ﴿وإذ قال الله ياعيسى بن مريم أأنت قلت للناس اتخذونى وأمى إلهين من دون الله قال سبحانك﴾ .

وقال البابا أيضا :

– الخلافات فى العقائد لم تمنع المسلمين والأقباط من أن يعيشوا معا فى اندماج كامل ، وليس هذا غريبا .. فالدولة لها علاقات كثيرة مع دول كثيرة ليست مسلمة ، وبينها تعاون فى نواح كثيرة سياسية واقتصادية واجتماعية ، فإذا كان المسلمون لايتعاملون إلا مع المسلمين فقط ، فهل سيفقدون علاقاتهم الدولية .. والمسلمون يختلفون فيما بينهم .. فهل يقاطعون بعضهم بعضا .. ولو أن كل طائفة تعبد الله تُكفِّر كل طائفة أخرى تختلف معها فى طريقة عبادة الله فمن يبقى مستحقا لصفة الإيمان ؟

وقال :

– المصريون عاشوا معا .. فى عهد سعد زغلول كان يرشح مسيحيا فى دائرة كلُّها مسلمون فينجح ، ويرشح مسلما فى دائرة أغلبها مسيحيون فينجح ، لأنه كانت تسود الروح الوطنية ، وكان الناس يختارون الصالح أيا كان دينه ، وكان نجاح الأقباط فى الانتخابات ظاهرة صحية تدل على أن الجو طبيعى .

وقال :

– هناك نقطة مهمة تتعلق بدور العلمانيين ورجال الدين .. نحن نرحب بدور العلمانيين بما فى ذلك داخل الكنيسة ، وكلمة العلمانيين عندنا تعنى كل من هم ليسوا من رجال الدين ، ولكن لانريد أن يسيطر العلمانيون على الكنيسة ، وعلى رجال الدين ، فهذا مالا أوافق عليه .. يعملون داخل الكنيسة ما يريدون ، ولكن لايحكمونها ولا يحكمون رجال الدين ، فهؤلاء بالنسبة لهم آباء روحيون ، فكيف يمكن للابن أن يحكم أباه الروحى ؟ ولذلك كل كنيسة بالقاهرة لها مجلس كنيسة من غير رجال الدين يسمون خدام التربية الكنسية ، أو مدارس الأحد ، وكل الذين يقومون بالخدمة الاجتماعية بالكنيسة علمانيون رجالا ونساء ، وكل قادة أنشطة الكنيسة علمانيون ، ولكن العمل الكهنوتى للكهنة فقط .

وقال البابا :

– إنهم يتحدثون كثيرا عن سلبية الأقباط ، وأنا أقول : إنه لو وجد الأقباط ترحيبا وقبولا سيشاركون بإيجابية ، وإذا لم يجدوا قبولا فمن الطبيعى أن ينطوى كل واحد منهم على نفسه .

وحين قلت له : إن الأقباط يعرفون كل شيء تقريبا عن الإسلام ، ولكن المسلمين لايعرفون شيئا عن المسيحية .. إنهم فقط يشاهدون كنائس ويسمعون تراتيل ، ولايعلمون مايجرى داخل الكنيسة .

أجابنى :

إن ذلك ليس تقصيرًا منا .. لأن من يريد أن يعرف الكنيسة المصرية من الداخل يمكنه أن يعرفها بكل تفصيل من القوانين الكنسية التى تحدد للأقباط علاقاتهم فيما بينهم ، وعلاقتهم بالكنيسة والدولة ، وهذه القوانين جمعها المستشار الدكتور عونى برسوم – وهو زميل دراسة – وجعلها مادة للدراسة فى الكلية الإكليريكية .

هذه القوانين الكَنسيّة – كما يقول الدكتور عونى برسوم – لا صلة لها بأمور العالم التى يتصارع من أجلها الناس بحثًا عن مجد أو سلطة أو شهرة أو حقوق أو كيانات مادية[1] .

واستطرد قداسة البابا يقول :

أذكر أن مجلة الهلال أرادت إصدار عدد خاص عن القرآن . وطلبت منى أن أكتب مقالا فيه ، فكتبت مقالا بعنوان : « القرآن والمسيحية »[2] . أعجب به كثير من المسلمين ، ولكن إحدى المجلات هاجمتنى وهاجمت المقال ، وسبب لى ذلك ألمًا كبيرا .

وقال :

---

(١) تعريف بالقوانين الكنسية ملحق (٤) .

(٢) نص المقال ملحق (٥) .

– إن كثيرا من رجال الدين المسلمين متفقون على أن هناك نقاط اتفاق كثيرة بين الإسلام والمسيحية ، وأذكر أن الرئيس السادات بعد أحداث ١٨ و ١٩ يناير دعانا لاجتماع فى قصر عابدين فى فبراير ١٩٧٧ ، وقلت فى هذا الاجتماع : إن البُعد جفوة فلماذا لانجتمع كلنا ، ونشارك فى عمل موحد للترابط بين المسلمين والمسيحيين ، ونصدر كتبا مشتركة حول الأمور المشتركة والتى ليس بيننا فيها خلاف وهى أمور كثيرة ، ونقف معا ضد الملحدين . نحن متفقون فى الأدلة على إثبات وجود الله ، وفى أسماء الله الحُسنى وصفاته ، ومتفقون فى الفضائل والأخلاق والقيم الاجتماعية ، ومتفقون تماما فى القضايا الوطنية . وفى لقاء مع الرئيس السادات تحدثت عن التاريخ الإسلامى وعن السماحة فى الإسلام والمسيحية ، وعن موقف المسيحيين فى مصر ضد الحروب الصليبية ، وكان موقفا وطنيا .. وتحدثت عن سماحة الإسلام منذ فجر الإسلام وعبر عصور طويلة .

وقال البابا :

– لقد بدأت بإقامة احتفالات بشهر رمضان داخل الكاتدرائية نلتقى فيها مسلمين ومسيحيين ، وانتشرت هذه الاحتفالات وموائد الإفطار فى المطرانيات والكنائس فى المحافظات وفى أحياء القاهرة وهى دليل على ما بيننا وبين إخوتنا المسلمين من عوامل القربى والصلة والمودة والمحبة .. وفى كل رمضان ألتقى مع الإمام الأكبر أربع مرات على موائد الإفطار .. فالروح القومية موجودة وتظهر فى المواقف الشديدة مثل حرب ١٩٥٦ و١٩٦٧ و١٩٧٣ ومثل أحداث السيول والزلزال ، ونحتاج إلى تأكيدها .

هكذا تحدث البابا شنودة .

وهناك مواقف فى التاريخ تشهد بأن الأقباط فى مصر كانوا مصريين قبل أن يكونوا أقباطا . فى الحروب الصليبية أيام حكم العباسيين رفض الأقباط إدعاء الصليبيين بأنهم جاءوا بالغزو لحماية الأقليات المسيحية ، وفى الحكم الفاطمى كان للأقباط امتيازات كثيرة ، وكان منهم الوزراء والقادة والحكام ، وعندما حكم محمد على أعطى الأقباط فرصة المشاركة فى الحياة العامة بدور بارز ، وحين أصبح على مبارك وزيرا للتعليم ظهرت مدارس الأقباط التى تعلم فيها جيل من المسلمين والأقباط كان من بينهم مجموعة من السياسيين وزعماء الرأى العام ، ومنهم اثنان من رؤساء الوزارات تخرجا فى المدارس القبطية هما عبد الخالق ثروت ، وحسين رشدى .. ولازال التاريخ يذكر فشل الاستعمار البريطانى فى إيجاد التفرقة بين المسلمين والأقباط فى مصر ، وفشل سياسة « فرق تسد » .

وفى كتاب الدكتور مصطفى الفقى الشهير « الأقباط فى السياسة المصرية » دراسة علمية موثقة عن تاريخ الأقباط فى مصر نال بها الدكتوراه من جامعة لندن ، ودراسة لشخصية مكرم عبيد على أنه الشخصية التى تعكس الدور الوطنى فى الحياة السياسية المصرية . وإن كانت مشاركة الأقباط فى العمل الوطنى والحياة السياسية قبل ذلك عندما توجه سعد زغلول واثنان من زملائه لمقابلة المندوب السامى البريطانى فى ١٣ نوفمبر ١٩١٨ ، وبعد أيام عقدت مجموعة من علية القوم اجتماعا ناقشوا فيه حقيقة أنه لم يكن بين الزعماء الثلاثة قبطى واحد ، وكان من الحاضرين فخرى عبد النور ، وويصا واصف ، وتوفيق أندراوس ، فقرروا مقابلة سعد زغلول وإثارة مسألة خلو الوفد من عناصر قبطية ، فطلب منهم سعد اختيار واحد ليمثلهم فى المرحلة الجديدة من الحركة الوطنية ، فرشحوا له ثلاثة أسماء : واصف بطرس

غالى باشا ، وسينوت حنا باشا ، وجورج خياط ، وأدى الثلاثة القسم أمام سعد زغلول ، وقال سعد زغلول عبارته الشهيرة : « إن الأقباط مثل المسلمين لهم نفس الحقوق ، وعليهم نفس الواجبات ، فالمصريون جميعا سواء » .

وفى كتاب الدكتور الفقى تفصيل للمواقف الوطنية لمكرم عبيد منذ أن نفاه الانجليز مع زعماء الحركة الوطنية إلى جزيرة سيشل ، ومرضه بالملاريا ، وكان مرافقه فى المستشفى الذى يرعاه هو مصطفى النحاس ، ثم كيف أصبح مكرم عبيد الزعيم المرموق فى حزب الأغلبية ، وكيف خرج من الوفد .

والأمر فى النهاية كما انتهى الدكتور مصطفى الفقى من بحثه فإن الأقباط فى مصر طائفة فريدة ، إذا قورنت بالأقليات الأخرى فى العالم ، إذ أن جذورهم العميقة ، وأصولهم الواضحة فى دولة لها تاريخ طويل معروف جعلتهم جزءا لا يتجزأ من نسيج الشعب المصرى – بأغلبيته المسلمة – اجتماعيا وديموغرافيا ، ويوضح استقراء التاريخ أن أوضاعهم تأثرت تاريخيا بالسياسات التى ينتهجها الحكام وفقا لأسلوب كل منهم ، خصوصا أن الأقباط كانوا مصدر دخل لخزانة الولاة فى بعض الأحيان عن طريق الجزية أو الضرائب التى كانت تثقل كاهل السكان أقباطا ومسلمين .

وقد ظل الأقباط لعدة قرون بمنأى عن الحياة العامة فى مصر ، ولكن مشاركتهم بدأت تتزايد تدريجا فى قطاعات معينة بالإدارة الحكومية مع ميلاد مصر الحديثة ، فقد أصبح الأقباط – منذ الحملة الفرنسية وحكم محمد على عنصرًا فعالا ومهما فى الحكومة خاصة فى الشئون المالية والإدارية .

ويرصد الدكتور مصطفى الفقى مرحلة عصيبة مرت بها العلاقة بين المسلمين والأقباط بعد وفاة مصطفى كامل بفترة قصيرة ، حين شهد الحزب الوطنى الذى أسسه تحولا ذا طابع دينى ، وكان حادث اغتيال بطرس غالى – رئيس الوزراء القبطى – السبب المباشر لبدء تلك الفترة العصيبة إذ عقد مؤتمر قبطى ليقدم مطالب الطائفة إلى الخديو والحكومة ، ولم يلق هذا المؤتمر حماس كثير من الأقباط . إلى أن جاء سعد زغلول فبلغت مشاركة الأقباط فى الحركة الوطنية والحياة السياسية أعلى درجاتها .

ويذكر الدكتور الفقى أن « سيكولوجية » الأقليات عموما كما لاحظها الدارسون أن هناك بعض الخصائص المشتركة بين أفرادها .. من بينها القلق والخوف من المستقبل إلى جانب نظرة متحفظة تجاه الشئون العامة وحساسية مفرطة تجاه الأغلبية فى بعض الأحيان ، ولكن يصعب اكتشاف تلك الخصائص فى عدد من الشخصيات القبطية : أولها شخصية مكرم عبيد إذ يمثل دوره فى الحياة العامة درجة عالية من الإيجابية . ولم يكن زعيما طائفيا متعصبا .

وأستطيع أن أضيف إلى كلام الدكتور مصطفى الفقى أن شخصية البابا شنودة من هذا النوع ، فهو على درجة عالية من الإيجابية ، وهو يلعب دورا فى المجتمع المصرى كواحد من الشخصيات البارزة فى الحياة العامة غير دوره الكهنوتى باعتباره رأس الكنيسة الأرثوذكسية .

وحين سألت فضيلة الإمام الأكبر الدكتور محمد سيد طنطاوى عن موقف الأزهر المعبر عن الإسلام الصحيح قال لى بكل وضوح :

– الإسلام يبدأ من حقيقة أن كل البشر من أب واحد ومن أم واحدة .

والإسلام يأمر المؤمنين أن يتعاملوا ويتعاونوا مع غير المسلمين على قدم المساواة ﴿وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا﴾ أى أن الله لم يخلق البشر مختلفين ليكون اختلافهم سببا للصراع ولكن ليكون سببًا للتعارف وتبادل المعرفة والتعاون فيما يفيد المجتمع .

والإسلام يأمر المؤمنين به بعدم إيذاء الغير حتى أن الرسول يضع مبدأ عاما يقرر فيه أن « المسلم من سلم الناس من لسانه ويده » ويجب أن نلاحظ أن الرسول قال (الناس) ولم يقل (المسلمين) مما يدل على أن المسلم يجب أن يسلم كل الناس من لسانه ويده بصرف النظر عن دياناتهم ومعتقداتهم وأفكارهم ، أما إذا لم يسلم الناس من لسانه ويده فيكون قد فقد الشرط الجوهرى الذى يجعله مسلما .

والإسلام لا يكره غير المسلمين ، ولكنه يمد لهم اليد مادامو يمدون أيديهم : ﴿لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم فى الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا إليهم إن الله يحب المقسطين﴾ . فالعلاقة مع المختلفين فى العقيدة علاقة بر وعدل وسلام وتعاون . وتحذير الرسول لنا « من آذى ذميا فأنا خصمه يوم القيامة » .

والإسلام يفرض المساواة بين المسلم وغير المسلم فى الحقوق والواجبات ، على أساس المبدأ المقرر : لهم ما لنا وعليهم ما علينا .

والإسلام لا يرغم الناس على دخول الإسلام بالإكراه ، لأن الإكراه لايولد مؤمنين ولكن يولد منافقين .

والإسلام يتعامل مع غير المسلمين بالمودة والإنصاف ، ولا ننسى أن الرسول أمر أول جماعة من المهاجرين بالهجرة إلى الحبشة فوجدوا الأمان

عند النجاشى ملك الحبشة المسيحى ، ولم يجدوا عنده غدرا ، ولا مكرا ، ولا عـداوة . ولا ننسى أن السيدة مارية القبطية كانت لها مكانة عند الرسول . ولا ننسى أن الرسول كان يتعامل مع المسيحيين واليهود دون تفرقة بسبب الدين ، ولم يحارب اليهود إلا عندما نقضوا العهد وبدأوا بالعدوان .

والإسلام دين حضارة ، ومساواة ، وحرية .. فكيف نقبل أن يشوه البعض صورته ويظهره فى صورة التصعب أو عدم قبول الآخر ، والله يأمر المسلمين فى كتابه : ﴿ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتى هى أحسن إلا الذين ظلموا منهم ، وقولوا آمنا بالذى أنزل إلينا وأنزل إليكم ، وإلهنا وإلهكم آله واحد ونحن له مسلمون﴾ .

والإسلام وصل فى رقى المعاملة إلى حد أن أمر أتباعه بحماية الكافر إذا استجار بالمسلم : ﴿وإن أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله ثم أبلغه مأمنه﴾ .

والإسلام يقارب بين أهل الأديان فى كل مجال للحياة المشتركة :﴿ وطعام الذين أوتوا الكتاب حل لكم وطعامكم حل لهم﴾ .

وإذن فعلاقات المسلمين بغير المسلمين قائمة على الإخاء وتبادل المنافع وعلى المودة حتى أن الإمام « القرافى » أفتى بأنه إذا عاش غير المسلمين مع المسلمين فى بلد واحد واعتدى مسلم على واحد منهم ولم يخرج المسلمون لنصرة صاحب الحق فإنهم بذلك يكونون قد خانوا أوامر دينهم ويجب عزل الحاكم الذى قصر فى ذلك ، لأن المسئولية مشتركة .

وأخيرا قال لى فضيلة الإمام الأكبر :

– تجمعنى مع البابا شنودة صداقة ، ونحن نتعاون على البر والتقوى ، لا على الإثم والعدوان . ونلتقى كثيرا وفى كل مرة أجد تقاربا فيما بيننا حول الفضائل والأخلاق والمعاملات .. وأثق أن هناك أمورا كثيرة مشتركة بين المؤمنين بالله الذين يعبدونه بإخلاص مهما اختلفت دياناتهم وعقائدهم .. كما أننا نتفق على أن لنا رسالة مشتركة فى مواجهة موجات الإلحاد التى تنتشر فى الخارج ونخشى على شبابنا منها .

واختتم فضيلته الإجابة ببيت شوقى :

الديـن للديان جل جلاله لو شاء ربك وحد الأديان

□□□